الجامعة الإسـلاميـة – غــــزة
عـمـادة الـدراسات العلـــيـــا
كـلــيـــة أصـــول الديـــن
قسم العقيدة والمذاهـب المعاصرة

قضايا العقيدة في حديث سيد الاستغفار وأثرها على الفرد والمجتمع

إعداد الطالبة:
أسماء حماد عودة حسن

إشراف الأستاذ الدكتور
جابر زايد عيد السميري

قُدِّم هذا البحثُ لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة

1436هـ – 2015م

إقــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

قضايا العقيدة في حديث سيد الاستغفار

وأثرها على الفرد والمجتمع

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: Asma Hamad Hasan

Signature: As

Date: 6/10/2015.

اسم الطالب/ة: أسماء حماد حسن

التوقيع: As

التاريخ: 6 أكتوبر 2015

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا   هاتف داخلي 1150

الرقم ج س غ/35/ Ref

التاريخ 2014/3/11م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **أسماء حماد عودة حسن** لنيل درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

"قضايا العقيدة في حديث سيد الاستغفار وأثرها على الفرد والمجتمع"

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الثلاثاء 10 جمادى الأولى 1435هـ، الموافق 2014/3/11م الساعة التاسعة والنصف صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. جابر زايد السميري	**مشرفاً ورئيساً**	....
أ.د. سعد عبد الله عاشور	**مناقشاً داخلياً**	....
د. يحيى علي الدجني	**مناقشاً داخلياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم العقيدة الإسلامية.**

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 هاتف ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا
(11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ
جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12)﴾

[نوح: 11-12]

صَدقَ اللهُ العَظِيم

الإهـــداء

- إلى الهادي البشير، وسيد المستغفرين **محمد** ﷺ
- إلى من لم يفتر لسانها عن الدعاء لي بالتوفيق والسداد **أمي الحبيبة**
- إلى من غرس فيّ العزيمة والإصرار لمواصلة درب العلم **أبي الغالي**
- إلى من ذلل لي الصعاب، وهيأ لي الأسباب **عمي العـزيـز أبي ياسر**
- إلى من أستمد منهم عزيمتي وإصراري **إخوتي وأخواتي**
- إلى من رافقتني مسيرة البحث **زوجي العزيز أبي بلال**
- إلى قرة عيني ومهجة قلبي **أبنائي بلال وعبد الرحمن**
- إلى كل مستغفر بالأسحار وفي الليل والنهار

أهدي بحثي هذا

شكـر وتقديـر

شكر وتقدير

الحمد لله حمد الشاكرين، وشكر الحامدين، إلى أن وفقني لإنجاز هذا العمل، على ما فيه من ضعف البشر، فالكمال لله وحده، فما كان من توفيق وسداد فمن الله المعطي الوهاب، وما كان من زلل فمن نفسي والشيطان، والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

وانطلاقاً من قول النبيﷺ: **(مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ)**[(1)] أتقدم بالشكر الجزيل للصرح الشامخ الجامعة الإسلامية، ممثلة في كلية أصول الدين وأعضاء هيئتها التدريسية، وقسم العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة، وقسم الدراسات العليا، على ما يقدمونه من خدمة ورعاية العلم وطلبته.

كما وأتقدم بالشكر إلي معلمي ومشرفي صاحب الفضيلة أ.د. جابر السميري، على ما أولاني به من اهتمام، وتشجيع لشحذ همتي حتى أكمل البحث، وقد أفدت من توجيهاته الكريمة، الأمر الذي كان له أكبر الأثر على خروج هذا البحث بهذه الصورة، أطال الله عمره في خدمة العلم وطلابه وجزاه الله كل الخير.

كما وأتقدم بالشكر والتقدير لأستاذيّ الكريمين:

الأستاذ الدكتور/ سعد عاشور حفظه الله

والأستاذ الدكتور/ يحيى الدجني حفظه الله

لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة وعلى ما بذلاه من جهد في قراءتها وتصويبها وتنقيحها؛ لتخرج بأبهى حلة، فجزاهما الله خيراً .

كما وأتقدم بخالص الشكر والعرفان لزوجي العزيز أحمد؛ لمساعدته لي أثناء كتابة البحث، وكذلك الشكر موصول لأهله؛ لاحتضانهم أبنائي ورعايتهم والله أسأل ألا يحرمهم الأجر، والشكر الجزيل لأهلي وأخص بالذكر أخواتي الغاليات لمساعدتهن لي فجزاهن الله خير الجزاء، والشكر موصول لرفيقات دربي في حقل الدعوة، وأخص بالذكر الأختين: هالة العصار وختام الدباري، وصديقتي العزيزة: تحرير الأخرس، اللواتي كن خير رفيق في تشجيعي لإكمال البحث، ولا أنسى أن أتقدم بالشكر والتقدير لقسم الوعظ والإرشاد بدائرة العمل النسائي بوزارة الأوقاف والشئون الدينية، وأخص بالذكر مشرفتي ناهد زعرب التي ذللت لي الصعاب أثناء رحلة البحث، فجزى الله الجميع خير الجزاء.

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليه،ح(1954) /ج4/ ص339.

المقدمة

الحمدُ لله الذي أنشأ وبَرى، وخَلَقَ الماءَ والثرى، لا يغيبُ عن بصرِه دبيبُ النَّملِ في الليلِ إذا سَرى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غافر ما اقترفَ العبدُ وجَنى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، معلمُ الخيرِ للورى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، صلاةً دائمةً بدوامِ الأرضِ والسماء، وسلّم تسليماً كثيراً .

أما بعد:

فإن الله خلق الإنسان وأغدق عليه بنعمه، وأمره بطاعته، والتزام أوامره، واجتناب نواهيه، والإخلاص له بالطاعة ما استطاع إلى ذلك سبيلا، مع علمه أن هذا المخلوق سيقع في الذنوب والمعاصي فأعطاه فرصة للتوبة والاستغفار في الدنيا، وقبل منه تلك التوبة وكفر عنه خطاياه إن أقبل عليه مقراً بذنبه وتقصيره في حقه، هذا ما أبلغنا به سيدنا محمد ﷺ في أحاديثه الشريفة وفي مقدمتها حديث سيد الاستغفار الذي يقول فيه النبي ﷺ: **(سيد الاسْتِغْفَار اللَّهُمَّ أَنْت رَبِّي لَا إِلَه إِلَّا أَنْت، خلقتني وَأَنا عَبدك، وَأَنا على عَهْدك وَوَعدك مَا اسْتَطَعْت، أعوذ بك من شَرّ مَا صنعت، أَبُوء لَك بنعمتك عَليّ وأبوء بذنبي، فَاغْفِر لي فَإِنَّهُ لَا يغْفر الذُّنُوب إِلَّا أَنْت، من قَالَهَا حِين يُمْسِي فَمَاتَ من ليلته دخل الْجنَّة، وَمن قَالَهَا حِين يصبح فَمَاتَ من يَوْمه دخل الْجنَّة)** (1).

هذا الدعاء الذي يشتمل على مباحث عقدية هامة، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أسأل أن يعينني على شرحها وتوضيحها في هذه الرسالة التي بعنوان" **قضايا العقيدةِ في حديثِ سيد الاستغفارِ وأثرها على الفردِ والمجتمعِ**" من خلال الرجوع إلى كتب شروح الحديث الشريف للعلماء الأجلاء الذين شرحوا الحديث النبوي الشريف، فكان حبرهم الذي خطوا به تلك الشروح نبراساً يضئ لنا الطريق.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية دراسة حديث دعاء سيد الاستغفار فيما يلي:

1- إنهُ دعاءٌ جامعٌ لمعاني التوبة لذلك استحق أن يسميه النبي ﷺ سيد الاستغفار.

2- إنه يشتمل على مباحث عقدية واجب على كل مسلم أن يعلمها بالضرورة، فكل جملة منه تضمنت قضية عقدية تعد من بدهيات العقيدة الإسلامية.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، ح(6306) /ج8/ص67.

أسباب اختيار الموضوع:

1- بيان المباحث العقدية في حديث سيد الاستغفار.

2- إبراز أهمية الحديث، لاشتهاره بين المسلمين، وبيان معاني مفرداته.

3- ندرة الأبحاث المحكمة التي تناولت شرح حديث سيد الاستغفار، لذلك أردت أن أضيف دراسة جديدة تشرح المباحث العقدية التي تضمنها حديث سيد الاستغفار شرحاً مفصلاً .

منهج البحث:

اتبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي(1).

طريقة البحث:

1- عزو الآيات إلى سورها، وذلك ببيان رقم السورة ورقم الآية .

2- عزو الأحاديث الشريفة إلى مظانها وبيان الحكم عليها إن لم يكن في الصحيحين، أو أحدهما.

3- توثيق النصوص المنقولة لأول مرة في الهامش، مبتدئة بذكر اسم الكتاب، فاسم المؤلف مع بيانات التوثيق، وعند تكرار ذكر المرجع، أكتب اسم الكتاب، والجزء والصفحة، إلا إذا كان أكثر من كتاب بنفس العنوان فعندها أكتب اسم المؤلف للتمييز، وفي حالة عدم وجود رقم طبعة أو سنة طبعة أكتب بدون رقم طبعة، أو بدون سنة طبعة، مستخدمة رمز(ط) لرقم الطبعة.

4- اختصرت في ترجمة الصحابة للراوي الأعلى لحديث سيد الاستغفار فقط.

5- ترجمت لأكثر الأعلام الوارد ذكرهم في البحث.

6- قمت بشرح الألفاظ الغريبة.

7- أتبعت البحث بفهارس توضيحية، وترتيبها على النحو التالي:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية وهو مرتب حسب ترتيب السور في المصحف.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة، ومرتب حسب الحروف الأبجدية.

---

(1) المنهج الوصفي التحليلي: هو المنهج الذي يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفاً يعبر عنها تعبيراً كيفياً أو تعبيرا كمياًَ، أنظر: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر – بيروت / دمشق، ط الأولي، دون سنة النشر، ص 183.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم، ومرتب حسب الحروف الأبجدية.

رابعاً: المصادر والمراجع، ومرتب أيضاً حسب الحروف الأبجدية.

خامساً: فهرس الموضوعات.

الدراسات السابقة:

أولاً: الرسائل العلمية.

- **الاستغفار في الكتاب والسنة،** حاتم رجا عودة محمود عودة، إشراف د. خالد علوان، ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة النجاح.
- **الاستغفار في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة،** حياة محمد جبريل، رسالة دكتوراة، الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة.
- **الاستغفار وأهميته وأنواعه وآثاره في ضوء القرآن،** دراسة تحليلية في التفسير الموضوعي، نجلاء بنت سليم الصاعدي، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات بمكة المكرمة.

ثانياً: الكتب.

بحسب اطلاعي عثرت على كتاب يشرح الحديث وهو: **نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار**- أبو العون محمد بن أحمد السفاريني.

وتمتاز هذه الرسالة عن الرسائل المذكورة، في أنها تختص ببيان المباحث العقدية في حديث سيد الاستغفار وأثرها على الفرد والمجتمع، وقد قسمت فصول هذه الرسالة مستفيدة من فهرس كتاب نتائج الأفكار في شرح سيد الاستغفار – للشيخ محمد السفاريني.

خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

المقدمة: تشتمل على أهمية البحث وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج الباحثة فيه، وطريقة البحث، وخطة البحث.

التمهيد

حديث سيد الاستغفار" تخريجه وأهميته وشرحه".

الفصل الأول

دلالة حديث سيد الاستغفار على مسائل الإيمان الواردة فيه.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دلالة حديث سيد الاستغفار على أقسام التوحيد.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دلالة حديث الاستغفار على توحيد الربوبية ويتضمن :

أولاً: التعريف بتوحيد الربوبية.

ثانياً: دلالة الحديث على توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: دلالة حديث سيد الاستغفار على توحيد الألوهية ويتضمن:

أولاً: التعريف بتوحيد الألوهية.

ثانياً: دلالة الحديث على توحيد الألوهية.

المطلب الثالث: دلالة حديث سيد الاستغفار على توحيد الأسماء والصفات ويتضمن:

أولاً: التعريف بتوحيد الأسماء والصفات.

ثانياً: دلالة الحديث على توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثاني: دلالة الحديث على خلق الإنسان .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: دلالة الحديث على خلق الإنسان

المطلب الثالث: مبدأ الخلق وعجائب التكوين.

الفصل الثاني

العبادة والعهد والوعد بين العبد وربه.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: العبادة شروطها، وأركانها وأنواعها .

وفيه ثلاثة مطالب:

الفصل الرابع

أثر قضايا العقيدة في حديث سيد الاستغفار على الفرد والمجتمع.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر قضايا العقيدة على الفرد.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر التوحيد على الفرد.

المطلب الثاني: أثر الشكر على الفرد.

المطلب الثالث: أثر الاستغفار على الفرد.

المبحث الثاني: أثر قضايا العقيدة على المجتمع.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر التوحيد على المجتمع.

المطلب الثاني: أثر الشكر على المجتمع.

المطلب الثالث: أثر الاستغفار على المجتمع.

الخاتمة :

وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة، وكذلك التوصيات.

الفهارس وتتضمن الآتي:

1. فهرس الآيات القرآنية.
2. فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
3. فهرس الأعلام المترجم لهم.
4. فهرس المصادر والمراجع.
5. فهرس الموضوعات.

وبالله التوفيق

الطالبة/ أسماء حماد حسن

التمهيد
حديث سيد الاستغفار
تخريجه وأهميته وشرحه

ويشتمل على:

أولاً: تخريج الحديث.

ثانياً: أهمية الحديث.

ثالثاً: شرح مجمل للحديث.

التمهيد

حديث سيد الاستغفار: تخريجه وأهميته وشرحه

أولاً: تخريج الحديث.

الأحاديث الواردة في دعاء سيد الاستغفار رُويت عن أكثر من صحابي، وهم شداد بن أوس، وجابر بن عبد الله، وبريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنهم، وسأذكر رواية كل صحابي على حدة، مع عزوها إلى مظانها من كتب متون الحديث.

أولاً: رواية الصحابي شداد بن أوس رضي الله عنه[1]:

1. عن شداد بن أوس رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ " قَالَ: (وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ)** [2].
2. عن شداد بن أوس: أن النبيﷺ قال له: **(أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى سَيِّدِ الِاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، وَأَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَعْتَرِفُ بِذُنُوبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، لَا يَقُولُهَا أَحَدُكُمْ حِينَ يُمْسِي فَيَأْتِي عَلَيْهِ قَدَرٌ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَلَا يَقُولُهَا حِينَ يُصْبِحُ فَيَأْتِي عَلَيْهِ قَدَرٌ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ)** [3].

---

(1) شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي، ابن أخي حسّان بن ثابت، يكنى أبا يعلى، نزل الشام بناحية فلسطين، سكن حمص، مات سنة ثمان وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين، دفن ببيت المقدس سنة ثمان وخمسين. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى 1415 هـ،258/3-259/ ترجمة 3866، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط دار الجيل- بيروت، ط الأولى، 1412 هـ - 1992م، 694/2- 695/ترجمة 1158، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، ط دار الكتب العلمية، ط 1415هـ - 1994 م، 613/2/ترجمة 2393.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، ح (6306)/ ج8/ص67.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب إذا أصبح وإذا أمسى، ح (3393)/ ج5/ص467/ ، وقال الألباني: صحيح.

يظهر لنا من خلال الروايتين اتفاقهما في المعنى، مع الاختلاف في بعض الألفاظ، ففي الرواية الأولى: أبوء، وفي الثانية: أعترف وكلاهما بنفس المعنى كما في المعجم الوسيط:" باء به وإليه وبما عليه: احتمله واعترف به"[1]، وكذلك إفراد الذنب في الأولى وجمعه في الثانية، فالمراد واحد.

ثانيا: رواية الصحابي جابر بن عبد الله رضي الله عنه[2]

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(تَعَلَّمُوا سَيِّدَ الِاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ أَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ وَأَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)** [3]

ويظهر الفرق بين رواية الصحابي جابر بن عبد الله، وبين رواية الصحابي شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، في لفظ وصية النبي ﷺ، ففي رواية جابر بن عبد الله ﷺ حث النبي ﷺ على تعلم سيد الاستغفار، وبالنسبة لثواب من يحافظ على قوله لم يذكره جابر بن عبد الله ﷺ بينما ذكره شداد بن أوس ﷺ في روايته، وهو من واظب على كلمات سيد الاستغفار موقناً بها، كان ثوابه دخول الجنة.

ثالثاً: رواية الصحابي الجليل بريدة بن الحصيب رضي الله عنه[4]:

1. عنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، ﷺ قَالَ ﷺ : **(مَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْــدِكَ مَــا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ مَا صَنَعْتُ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ)**[5].

---

(1) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط دار الدعوة، دون رقم طبعة، دون سنة النشر، ص75.

(2) جابر رضي الله عنه: هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن عمرو بن سواد بن سلمة،، وكان من المكثرين في الحديث، الحافظين للسنن، غزا تسع عشرة غزوة، وكف بصره في آخر عمره، ومات بالمدينة بعد السبعين وهو ابن أربع وتسعين. انظر تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ت852هـ، تحقيق: محمد عوامة، ط دار الرشيد، سوريا، ط الأولى، 1406 – 1986، 136/1/ترجمة 871، وأسد الغابة في معرفة الصحابة،492/1/ ترجمة 647، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، 219/1/ترجمة 286.

(3) أخرجه عبد بن حميد في مسنده، من مسند جابر بن عبد الله، ح (1063)/ ج1/ص323.

(4) بريدة بن الحصيب: بن عبد الله بن الحارث ابن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عدي بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان ابن أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر، يكنى أبا الحصيب، أسلم قبل بدر، ولم يشهدها وشهد الحديبية، فكان ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة،، مات سنة ثلاث وستين. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 185/217/ترجمة1، وتقريب التهذيب،121/1/ترجمة660، وأسد الغابة، 367/1/ترجمة 398.

(5) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، ح(1896) /ج1/ص 696، وقال:" صحيح الإسناد، ولم يخرجاه".

2. عن ابن بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَإِنْ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ مَاتَ شَهِيدًا، وَإِنْ مَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ مَاتَ شَهِيدًا** [1].

يظهر لنا المقاربة في الألفاظ في الرواية الأولى للصحابي الجليل بريدة بن الحصيب رضي الله عنه، وبين الروايات السابقة، لكنه لم يذكر تسمية الدعاء بسيد الاستغفار، وهذا هو الاختلاف في هذه الرواية والروايات السابقة الذكر لشداد بن أوس، وجابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. أما الرواية الثانية بهذه ضعيفة (في بيان الأجر)؛ ففيها اختلاف في أجر من يواظب على هذا الدعاء، وهو بلوغ درجة الشهيد، فلم يرد هذا الثواب إلا في هذه الرواية؛ وذلك لورورد الحديث من طريق ليث بن أبي سليم، وليث ضعفه جمع لا بأس به من العلماء[2].

ثانيا: أهمية الحديث:

لما كان من طبيعة الإنسان الخطأ والنسيان، ووقوع الذنب منه والعصيان، أراد النبي ﷺ أن يعلمنا أدعية جامعة لمعاني التوبة؛ حتى تكون سبباً لمغفرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لذنوبنا ومعاصينا، فكان من هذه الأدعية التي علمنا إياها النبي ﷺ دعاء سماه سيد الاستغفار، فحق لهذا الدعاء أن يكون سيد الأدعية؛ لتميزه عنها لأنه جامعاً لمعاني التوبة.

والسيد: المتولي للسواد؛ أي الجماعة، ولما كان شرط المتولي للجماعة أن يكون مهذب النفس؛ قيل لكل من كان فاضلاً في نفسه: سيد، وعلى ذلك قوله تعالى في حق سيدنا يحيى عليه السلام ﴿ **وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [آل عمران: 39] [3].

---

(1) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، ج1/ص43/ح43، وأنكره الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب، ح(381) / ج1/ص97.

(2) ليث بن أبي سليم، واسم أبي سليم زياد مولى بن أبي سفيان رضي الله عنه، ضعفه جمع لا بأس به من علماء الحديث. انظر: الضعفاء الكبير، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط دار المكتبة العلمية- بيروت، ط الأولى1404هـ- 1984م، ج4/ص14.

(3) انظر المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط الأولى 1412 هـ، 432/1.

ويقول الشيخ العلامة محمد السفاريني[1]: "واعلم أن السيد يطلق على من ساد قومه، يسودهم سادة وسودة وسيدودة؛ فهو سيدهم، وهم سادة "[2].

وقال الطيبي[3]: " لما كان هذا الدعاء جامعاً لمعاني التوبة كلها استعير له اسم السيد وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ويرجع إليه في الأمور"[4].

وقال ابن أبي جمرة[5]: " جمع في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أنه يسمى سيد الاستغفار ففيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية، والاعتراف بأنه الخالق والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعده به والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدها وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو، وفي كل ذلك الإشارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة فإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان في ذلك عون من الله تعالى، وهذا القدر الذي يكنى عنه بالحقيقة فلو اتفق أن العبد خالف حتى يجري عليه ما قدر عليه وقامت الحجة عليه ببيان المخالفة لم يبق إلا أحد أمرين: إما العقوبة بمقتضى العدل، أو العفو بمقتضى الفضل"[6].

---

(1) الشيخ محمد السفاريني: محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الشهرة والمولد النابلسي الحنبلي الشيخ الإمام ولد بقرية سفارين من قرى نابلس سنة أربع عشرة ومائة وألف ونشأ بها وتلا القرآن العظيم، ورجع إلى بلده ثم توطن نابلس واشتهر بالفضل والذكاء ودرس وأفتى، وكانت وفاته شوال سنة ثمان وثمانين ومائة وألف بنابلس ودفن بتربتها الشمالية رحمه الله تعالى. انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، ت 1206هـ، ط دار البشائر الإسلامية، ط الثالثة 1408 هـ - 1988 م، 33/4.

(2) نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار، الشيخ محمد السفاريني، تحقيق: عبد العزيز الهبدان، وعبد العزيز الدخيل، ط دار الصميعي – الرياض، ط الأولى 1416 هـ-1996م، ص 158.

(3) الطيبي: هو الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي، من علماء الحديث والتفسير والبيان، كان رحمه الله تاجرا ذا ثروة؛ فأنفقها في وجوه الخير، توفي رحمه الله سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة للهجرة. انظر الأعلام، الزر كلي، ط دار العلم للملايين، ط الخامسة عشر 2002 م، 256/2.

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، ط دار المعرفة - بيروت، ط 1379هـ، 99/11.

(5) ابن أبي أبو جمرة: هو نصر بن عمران الضُّبَعي، أبو جمرة البصري، نزيل خراسان، ثقة ثبت، من الطبقة الثالثة، روى له الجماعة، مات بسرخس، في آخر سنة سبع وعشرين ومائة. انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط مؤسسة الرسالة، ط الثالثة، 1405 هـ- 1985 م، 243/5.

(6) فتح الباري، ابن حجر، 100/11.

وقد بيّن العيني رحمه الله [1]، أهمية هذا الدعاء بهذه العبارة الموجزة فقال: " قد ذُكر الله تعالى فيه بأكمل الأوصاف، وذُكر العبد بأضعف الحالات، وهذا أقصى غاية التضرع ونهاية الاستكانة والخضوع لمن لا يستحق ذلك إلا هو سبحانه"[2].

وبهذا استحق هذا الدعاء مرتبة السيادة على باقي الأدعية والأذكار النبوية، فحُق على كل ذي لُبٍّ أن يواظبَ عليه؛ ويجعله في مقدمة أذكاره، في الغدو والآصال، ليفوز على خير مآل: الجنة والرضوان، وهذا ما يتمناه كل عبدٍ موحدٍ، من خالقه الرحيم الرحمن.

ثالثاً: شرح مجمل للحديث.

1- معنى قوله ﷺ:" سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ...":

السَيِّدُ في اللغة: السين والياء والدال كلمة واحدة، وقد يسمى الأسد سيداً[3]، فما سمي الأسد سيداً إلا لتفضيله على باقي وحوش الغابة الضارية فهو ملكها وسيدها، والسيد من يملك تدبير السواد الأعظم[4]. فهذا الدعاء هو سيد الأدعية؛ وذلك لأنه جمع معاني التوبة كما قال الطيبي رحمه الله وقد ذكرت قوله أثناء الحديث عن سبب تسمية الدعاء بسيد الاستغفار.

الِاسْتِغْفَارِ في اللغة:"الألف والسين للطلب، فالاستغفار طلب مغفرة الذنوب من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، والغفر إلباس ما يصونه عن الدنس، والغُفْرَانُ والْمَغْفِرَةُ من الله هو أن يصون العبد من أن يمسّه العذاب"[5]، **سيد الاستغفار:** "أي أفضله، وأعظمه نفعاً"[6].

---

(1) العيني: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين، أصله من حلب ومولده في عينتاب وإليها نسبته، له الكثير من المصنفات منها: الروض الزاهر، والبناية في شرح الهداية، وغيرها الكثير، توفي رحمه الله في القاهرة عام 855 هـ انظر: الأعلام، 163/7.

(2) عمدة القاري، بدر الدين العيني، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، دون رقم طبعة وسنة النشر،278/22.

(3) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط دار الفكر، دون رقم طبعة 1399هـ – 1979م،120/3.

(4) انظر التعريفات، الجرجاني، ط دار الكتب العلمية – لبنان، ط الأولى 1403هـ –1983م، ص116.

(5) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط الأولى – 1412 هـ، 609/1.

(6) حاشية السندى على صحيح البخارى، محمد بن عبد الهادي السندي، دار الفكر، دون رقم طبعة، دون سنة النشر، 47/4.

2- معنى قوله ﷺ : "اللَّهُمَّ...:"

المعنى يا الله! ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب؛ فلا يقال: اللهم! غفور رحيم، بل يقال: اغفر لي وارحمني"[1]. فحذفت يَا من أَوله وَجعلت الْمِيم فِي آخِره عوضاً من يَا فِي أَوله وَلَا يجوز الْجمع بَينهمَا[2]: أي الجمع بين أداة النداء والميم المشددة في آخره.

3- المقصود بقوله ﷺ " أَنْت رَبِّي لَا إِلَه إِلَّا أَنْت.... ":

أَنْت": ضمير خطاب منفصل مبني على الفتح، وهو أعرف المعارف بعد اسم الجلالة تعالى وتقدس، "**رَبِّي**":يالله، لا غيرك، واستفيد الحصر من تعريف الطرفين، "**لَا إِلَه**": لا معبود بحق في الوجود،"**إلا أنت**" يا الله؛ لأن كل معبود سواه باطل، وكل إله غيره جل شأنه عاطل[3].

4- شرح قوله" خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنا على عَهْدك وَوَعدك مَا اسْتَطَعْت....":

أ." **خَلَقْتَنِي** ": اعتراف من العبد بتوحيد الربوبية وهذا التوحيد مجمع عليه كل الخلق، كافرهم ومسلمهم، إنسهم وجنهم.

ب. "**وَأَنَا عَبْدُكَ** ": قال الطيبي:" يجوز أن تكون مؤكدة ويجوز أن تكون مقدرة أي أنا عابد لك ويؤيده عطف قوله وأنا على عهدك"[4]، وقال الإمام محمد السفاريني: وهذا معطوف على قوله :" اللهم! أنت ربي"؛ كأنه قال:اللهم! أنت ربي وأنا عبدك[5].

ج. قولهﷺ" (وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعدك مَا اسْتَطَعْت....)

قال السندي رحمه الله[6]: "وأنا على عهدك: أي على الشهادة بالتوحيد التي جرى بها الميثاق والعهد، ووعدك بالثواب للمؤمنين الذي بشر به كل الرسل"[7].

(1) نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار، ص 186.
(2) اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، ت 392 هـ، تحقيق: فائز فارس، ط : دار الكتب الثقافية – الكويت، 113/1.
(3) نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار، ص 212.
(4) فتح الباري،99/11.
(5) نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار، ص 267.
(6) السندي: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي، المتوفى عام 1138هـ.انظر الأعلام، الزركلي، ط دار العلم للملايين، ط الخامسة عشر 2002 م، 83/2.
(7) حاشية السندي على النسائي، السندي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط الثانية 1406هـ- 1986م

وقال الخطابي[1]:"يحتمل أن يريد أنا مقيم على ما عهدت إلي من أمرك ومتمسك به ومنتجز وعدك في المثوبة والأجر واشتراط الاستطاعة في ذلك معناه الاعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى"[2].

وقال ابن بطال[3]" قوله ﷺ **(وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ...)**: يريد العهد الذي أخذه الله على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم فأقروا له بالربوبية وأذعنوا له بالوحدانية، حيث قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾[الأعراف:172]، **ومعنى ووعدك:** وبالوعد ما قال على لسان نبيه ﷺ من الرضا ودخول الجنة لمن يحفظ العهد الذي بينه وبين ربه، " معنى: (مَا اسْتَطَعْت):اشتراط الاستطاعة؛ لأن النبي ﷺ أراد أن يعلم أمته أن أحداً لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله، ولا الوفاء بكمال الطاعات والشكر على النعم؛ فرفق الله بعباده فلم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم[4].

5- معنى قوله ﷺ: (أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ...)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[5]: فاستعاذته بالله عزوجل الالتجاء إليه والتحصن به والهروب إليه من المستعاذ منه، كما يتحصن الهارب من العدو بالحصن الذي ينجيه منه، وفيه إثبات فعل العبد، وأن الشر مضاف إلى فعله هو، لا إلى ربه، فقال: **(أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ)** فالشر إنما هو من العبد، وأما الرّب فله الأسماء الحسنى، وكل أوصافه صفات

---

(1) الخطابي: حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستيّ، أبو سليمان: فقيه محدّث، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب، من مؤلفاته: معالم السنن، وغريب الحديث، توفي في بست في رباط على شاطئ هيرمند، عام 388 هـ. انظر الأعلام، 2/ 273.

(2) فتح الباري، 99/11.

(3) ابن بطال: علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي، ثم البلنسي ويعرف بابن اللجام، كان من أهل العلم والمعرفة عني بالحديث العناية التامة، توفي سنة تسع وأربعين وأربع مائة.انظر سير أعلام النبلاء، ج3/ ص303.

(4) انظر: فتح الباري، 99/11.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الذكر والدعاء في صلاة الليل، ح(1762)/ج2/ص185.

(5) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام، ولد في حران وانتقل إلى دمشق فنبغ واشتهر، وطُلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، توفي في دمشق عام 728هـ. انظر الأعلام، 144/1.

كمال، وكل أفعاله حكمة ومصلحة. ويؤيد هذا قولهﷺ:(.... **لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ،....**)[1] [2].

6- معنى قولهﷺ (أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي)

أبوء لغة: باء بالشيء وإليه بوءاً وبواءً:أي رجع وفي التنزيل العزيز: ﴿ **فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وبَئس الْمَصِيرُ** ﴾[الأنفال:16]، معنى باء في الآية "أي رجع"[3] ويقال باء به وإليه وبما عليه احتمله واعترف به وفي التنزيل العزيز ﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ** ﴾ [المائدة:29] [4]، ومعنى تبوء في الآية: "ترجع يقال: باء إذا رجع إلى المباءة وهي المنزل"[5].

إذن البوء يعني: الرجوع، والاعتراف، فيصبح المعنى اصطلاحاً: أي أعترف وأقر ياربّ بنعمتك عليّ، وأعترف بتقصيري في حقك ووقوع الذنوب مني.

ويؤيد ذلك في رواية لشداد بن أوسﷺ:"وأعترف بذنوبي، وأصله البواء ومعناه اللزوم ومنه بوأه الله منزلاً: إذا أسكنه فكأنه ألزمه به، قوله وأبوء لك بذنبي أي أعترف أيضاً وقيل معناه أحمله برغمي لا أستطيع صرفه عني وقال الطّيبي: اعترَف أولاً بأنه أنعم عليه ولم يقيده لأنه يشمل أنواع الإنعام ثم اعترَف بالتقصير وأنه لم يقم بأداء شكرها، ثم بالغ فعدّه ذنباً مبالغة في التقصير وهضم النفس"[6]، وقال ابن حجر رحمه الله[7]: "ويحتمل أن يكون قوله أبوء لك

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الذكر والدعاء في صلاة الليل، ح(1762)/ج2/ص185.

(2) انظر: قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة، ابن تيمية، تحقيق: عبد الله بن محمد البصيري، ط دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولي 1418هـ/ص199.

(3) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط الأولى 1417 هـ – 1997 م، 311/1.

(4) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ط دار صادر – بيروت، ط الثالثة – 1414 هـ، 36/1، وانظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط دار الدعوة، دون رقم طبعة، ودون سنة النشر، 75/1.

(5) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط الأولى، 1417 هـ – 1997 م، 311/1.

(6) فتح الباري،100/11

(7) ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، له الكثير من المؤلفات منها: تقريب التهذيب، والإصابة في تمييز أسماء الصحابة، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، توفي عام859هـ. انظر: الأعلام،178/1.

بذنبي: أعترف بوقوع الذنب مطلقاً؛ ليصح الاستغفار منه لا أنه عدّ ما قصر فيه من أداء شكر النعم ذنباً[(1)].

7- معنى قولهﷺ:(فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)

(فاغفر لي....): يطلب العبد من ربه في هذا الدعاء ستر العيب، وغفران الذنب، **(فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)**: ومغفرة الذنوب أمر لا يملكه إلا الله ﷻ؛ فالله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب جميعاً، إذا استغفر العبد ولم يرجع إلى الذنوب؛ لأنه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار، فعلى العبد أن لا ينظر إلى حجم الذنب، وإنما عليه أن ينظر إلى عظم من عصاه وهو الحق تبارك وتعالى.

وقد وقع صَرِيحًا في حديث الإفك الطَّوِيلِ وَفِيه قول النّبيﷺ :(**.... يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ....**) [(2)]، فالعبد إن تاب من الذنب، ولم يرجع إليه، مع عدم الإصرار، والندم على ما فات منه، غفر الله ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر.

8- شرح قوله ﷺ (وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ)

موقناً بها: يعنى من قال هذه الكلمات مخلصًا من قلبه ومصدقًا بثوابها فهو من أهل الجنة[(3)]؛ لكونها من كلام المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى؛ بخلاف من لم يكن بها مُوقِناً؛ فلا يحصل له ما ذُكر، بل إن لم يكن مُوقناً بما تضمنته من التوحيد؛ فهو كافر؛ فلا يُقبل له عمل.

9- **قَوْلُهُ ﷺ (فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ)**؛ أي:" لأنه افتتح نهاره بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والاعتراف بالعبودية، ومشاهدة المِنة من إسداء النّعم، ومطالعة عيب النفس والعمل من مقارفة المعاصي واللَّمَم، وطلب المغفرة من الغفار، وهو قائم على قَدَمِ الذُّلِّ

---

(1) فتح الباري، 100/11.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، ح (2661)/ ج3/ص173.

(3) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض– ط الثانية 1423هـ – 2003م، 77/10.

والانكسار، وواقف على عَتَبِة المَسكنة والافتقار، وضارِع بأكفِّ الابتهال والاحتقار، يطلب الإقالة والرجوع، ويطلب العفو والصفح، ويترجى الدخول في السِّلم والصُلح"[1].

10- (وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ)

وحاصل هذا أن من قال الدعاء المذكور من أول نهاره، فمات في ذلك اليوم؛ كان من أهل الجنة، ومن قاله من أول ليله، فمات في تلك الليلة؛ كان من أهل الجنة، والمراد أن يقوله صباحاً ومساءً طرفي النهار[2].

(1) نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار، ص379.

(2) انظر: المصدر السابق، ص 379.

الفصل الأول

دلالة حديث سيّد الاستغفار على مسائلِ الإيمان الواردة فيه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دلالة حديث سيد الاستغفار على أقسام التوحيد.

المبحث الثاني: دلالة الحديث على خلق الإنسان.

المبحث الأول

دلالة حديث سيد الاستغفار على أقسام التوحيد.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دلالة حديث سيد الاستغفار على توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: دلالة حديث سيد الاستغفار على توحيد الألوهية.

المطلب الثالث: دلالة حديث سيد الاستغفار على توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الأول

دلالة حديث سيد الاستغفار على أقسام التوحيد.

حديث سيد الاستغفار يدلل دلالة واضحة على أنواع التوحيد فقوله:" **اللَّهُمَّ أَنْت رَبِّي**" يدل دلالة مباشرة على توحيد الربوبية، وقوله:" **لَا إِلَـه إِلَّا أَنْت**"، ويدل على توحيد الألوهية، وكذلك يدل على توحيد الأسماء والصفات في أكثر من موضع فقوله"**خلقتني**" يدل على اسم الخالق لله، وكذلك قوله" **فَاغْفِر لي فَإِنَّهُ لَا يغْفر الذُّنُوب إِلَّا أَنْت**" تدل على اسم الله الغفور.

المطلب الأول: دلالة حديث سيد الاستغفار على أقسام التوحيد.

اشتمل حديث سيد الاستغفار، على أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، وستظهر هذه الأنواع جليةً، أثناء الشرح والبيان، و مدى دلالة الحديث عليها، وإليك بيان هذه الدلالة، مبدوءةً بتعريف كل نوع منها في اللغة والاصطلاح.

أولاً: التعريف بتوحيد الربوبية لغة واصطلاحاً.

1 .التعريف بالتوحيد لغة واصطلاحاً:

أ **التوحيد لغة:** مصدر وحد يوحد الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك الْوَحْدَةِ. وَالْوَاحِدُ: الْمُنْفَرِد [1]، "والتوحيد :الحكم بأن الشيء واحد"[2].

وهو:"الإيمان بالله وحده لا شريك له والله الواحد الأحد : ذو الوحدانية، ومن صفاته الواحد الأحد والمتوحد وذو الوحدانية"[3].

ب: التوحيد اصطلاحاً: عرفه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله[4] بهذه العبارة الجامعة فقال:

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر، ط 1399هـ - 1979م، 90/6، وانظر: ومجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الثانية 1406 هـ - 1986 م، 918/1.

(2) التعريفات، ص 120.

(3) لسان العرب، 450/3.

(4) ابن عثيمين: هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي، ولد في مدينة عنيزة في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام 1347 هـ، له مؤلفات كثيرة تبلغ 40 ما بين كتاب ورسالة، توفي رحمه الله قبيل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال سنة 1421هـ، انظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط دار الثريا للنشر،ط الرابعة 1424هـ - 2004م، ص13.

" التوحيد هو إفراد الله بما يختص به"(1).

وهذا التعريف شامل يشمل اختصاصه سبحانه بخلق الكون وما فيه، واختصاصه سبحانه بالعبادة فهي تخصه وحده فلا يستحق للعبادة سواه، واختصاصه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بأسماء وصفات لا يتصف بها سواه، فبالتالي يكون هذا التعريف للتوحيد قد شمل أنواع التوحيد الثلاثة.

2-التعريف بالربوبية لغة واصطلاحاً:

أ- الربوبية لغة:

لقد دلت كلمة الرب في اللغة على معان عدة منها:المالك، والخالق، والسيد، والمدبر، والمُرَبِّي، والمُتَمِّمِ، والصاحب المُصلح للشيء(2).

الرَّبُ: "اسم من أسماء اللَّه تعالى ولا يُقَال في غيره إلا بالإضافة، مثل قولنا رب الأسرة أي المسئول عنها ورب العمل، وهو السيد المالك الموجد من العدم إلى الوجود"(3).

من خلال التعريف اللُغوي لتوحيد الربوبية يتضح لنا، أن الرّب يطلق على المالك والخالق والمُتصرف والسَّيِّد والمُربي والمُنعم والمُصلح.

ب- توحيد الربوبية اصطلاحاً:

هو: "إفراد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالخلق، والملك والتدبير" قال الله ﷻ: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الزمر: 62]" (4).

وقد فسر ابن كثير رحمه الله هذه الآية بقوله" يخبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها، وربها ومليكها والمتصرف فيها، وكل تحت تدبيره وقهره وكلاءته"(5)، وهذا هو مفهوم توحيد الربوبية، ويقول ابن

---

(1) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط دار الثريا للنشر، ط الرابعة 1424هـ - 2004م، ص39.

(2) انظر: معجم مقاييس اللغة، ص398، وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط دار الهداية، 459/2.

(3) مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط الخامسة 1420هـ- 1999م، 116/1.

(4) شرح ثلاثة الأصول، ص39.

(5) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية 1420هـ - 1999 م، 111/7.

أبي العز الحنفي رحمه الله [1]: "وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: 10]" [2].

ثانياً: دلالة الحديث على توحيد الربوبية:

يظهر توحيد الربوبية في حديث سيّد الاستغفار، بصورة واضحةٍ جليةٍ، فقولهﷺ:(**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ....، خَلَقْتَنِي)** : إذعان واعتراف بتوحيد الربوبية، وإقرار بهذا النوع من أنواع التوحيد، ولهذا أعقبه بقوله" **خَلَقْتَنِي**": وهو راجع إلى توحيد الربوبية؛ لأن الله جل ثناؤه هو الخالق العالِمُ وحده لا شريك له ولا وزير له، سبحانه [3] .

ويقول السيوطي رحمه الله[4]: "وفيه من الاعتراف بوجود الصانع وتوحيده"[5]، والمقصود به توحيد الربوبية وذلك لأن وجود الخالق راسخ في وجدان كل إنسان على وجه الأرض؛ فهو يوقن أن الذي خلق الكون هو الله وبذلك أقر المشركون، فهم معترفون بأن الله خالقهم، وخالق هذا الكون من حولهم قال تعالى عنهم: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[لقمان: 25]، ومع الإيمان بهذا النوع من التوحيد؛ إلا أنهم لم يوحدوا الله، وأشركوا معه آلهة أخرى في العبادة، ولذلك أرسل الحقّ تبارك وتعالى الرسل، لدعوة الناس لتوحيد الله في عباداتهم.

(1) ابن أبي العز الحنفي: علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقيّ: فقيه، كان قاضي القضاة بدمشق، من مؤلفاته: التنبيه على مشكلات الهداية، وشرح العقيدة الطحاوية، وغيرهما من المؤلفات، توفي عام: 792هـ.انظر الأعلام، 313/4.

(2) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبو العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن المحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، ط العاشرة، 1417هـ – 1997، 26/1.

(3) انظر: نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار، (ص 213–239–267) .

(4) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب، نشأ في القاهرة يتيماً، له نحو 600 مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة، منها: تحفة المجالس ونزهة المجالس، ترجمان القرآن، وغيرها الكثير الكثير، توفي عام 911 هـ.انظر: الأعلام،303/3– 304.

(5) حاشية السيوطي على سنن النسائي، جلال الدين السيوطي، ط مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط الثانية 1406هـ– 1986م، 280/8.

المطلب الثاني: دلالة حديث سيد الاستغفار على توحيد الألوهية.

أولاً: التعريف بتوحيد الألوهية لغة واصطلاحاً.

1. **الألوهية لغة:** من "أله؛ الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد. فالإله الله تعالى، وسمي ذلك لأنه معبود. ويقال: تأله الرجل: إذا تعبد"[(1)].

"وأله؛ أي عبد، ومنه قرأ ابن عباسﷺ ﴿ **وَيَذَرَكَ وَإِلَهَتَكَ** ﴾[الأعراف: 127]، بكسر الهمزة؛ أي وعبادتك وكان يقول إن فرعون كان يُعبد. ومنه قولنا الله وأصله إلاه على فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه أي معبود"[(2)].

"والإله المَعبود وهو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ثم استعاره المشركون لما عبدوه من دون الله تعالى والجمع آلهة فالإله فعال بمعنى مفعول، وأما الله فقيل غير مشتق من شيء بل هو علم لزمته الألف واللام"[(3)].

الله هو المعبود بحق، ولم يعلم له مسمى في اللسان؛ فعجز أن يدعي الألوهية أحد من العالمين؛ لأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قبض الألسن عن أن يدعي بها أحد سواه [(4)].

2. **توحيد الألوهية اصطلاحاً:**

يظهر لنا من خلال التعريف اللغوي للألوهية: أن الإله اسم اختص به الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فلم يستطع أحد أياً كان أن يدعى الألوهية؛ لعدم تحقق صفات الكمال في غيره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولذلك لا يستحق العبادة غيره؛ لأن الكامل هو المستحق للعبادة، فيصبح تعريف **توحيد الألوهية اصطلاحاً:** هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة؛ فالألوهية معناها العبادة، والإله معناه المعبود، ولهذا يسمى هذا النوع من التوحيد بتوحيد العبادة[(5)].

---

(1) مقاييس اللغة، 127/1.

(2) مختار الصحاح، 20/1-21.

(3) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ط المكتبة العلمية – بيروت، دون رقم طبعة أو سنة النشر، 19/1.

(4) الكليات : معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني، تحقيق: عدنان درويش– محمد المصري، ط مؤسسة الرسالة– بيروت، دون رقم طبعة، دون النشر، 173/1، بتصرف.

(5) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط دار ابن الجوزي، ط الرابعة 1420هـ – 1999م، ص30.

ثانياً: دلالة حديث سيد الاستغفار على توحيد الألوهية:

توحيد الألوهية هو الأهم؛ لذلك كانت دعوة الأنبياء لهذا التوحيد" توحيد الألوهية"، فيجب ألا تصرف العبادة إلا لله وحده، الموصوف بصفات الكمال والجلال، لا إله إلا هو، فلا إله تعني: لا معبود بحق إلا الله، ولذلك لما كان النبي ﷺ يرسل رسله من الصحابة لهداية الناس، يوصيهم بهذه الوصية الأولى والأهم وهي دعوة الناس للتوحيد" توحيد الألوهية"، فلما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه لليمن قال له:(**ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ**) (1).

ولقد تضمن حديث سيد الاستغفار على توحيد الألوهية بشكل أوسع، من تضمنه لتوحيد الربوبية؛ وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنه الأهم، وبه يتميز العبد بين الكفر والإيمان؛ فاعتبر الفيصل، وما خُلد كفار مكة في النار؛ إلا لأنهم كفروا بهذا التوحيد، ولم يؤمنوا به، وإن كانوا معترفين بتوحيد الربوبية.

ولو أمعن المؤمن النظر في حديث سيد الاستغفار، لوجده متضمن لتوحيد الألوهية فقوله ﷺ " **اللهم**": تعنى أدعو الله، فالدعاء عبادة لا تصرف إلا لله وحده، فهذا من لوازم توحيد الألوهية، فقد ابتدأ حديث سيد الاستغفار بإظهار التذلل للخالق ﷻ، وكذلك طلب المغفرة بأسلوب مكلل بأدب عند الطلب من الخالق ﷻ، فكلمة "اللهم" لا تستخدم إلا عند الطلب، فطلب مصحوب بأدب، حري بأن يستجاب له، فالأدب مع المخلوقين وسيلة الطالبين لتلبية طلباتهم، فكيف برب المخلوقين؟؟ فمن باب أولى أن يستجاب للمتأدبين مع خالقهم.

حيث قال النبي ﷺ: (الدعاء هو العبادة) وقرأ: ﴿ **قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [غافر: 60]) (2)، ولقد قسم العلماء الدعاء لنوعين وهما:

1. دعاء المسألة(الطلب):

وهو أن يطلب الداعي ما ينفعه وما يكشف ضره، فلا يملك جلب النفع ولا دفع الضر إلا من يستحق العبادة ألا وهو الخالق سبحانه مالك دفع الضر وجلب النفع، فهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أنكر على من يعبد غيره ممن لا يملك جلب النفع ولا دفع الضر عن نفسه، فكيف بغيره وهناك آيات تحمل هذا المعنى فهذا مثال على ذلك حيث قال تعـالـى:

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ح(1395) / ج2/ص104.

(2) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الصلاة باب الدعاء،ح(1479) /ج2/ص76، وقال الألباني: صحيح، انظر صحيح الترغيب والترهيب، كتاب الدعاء، ح(1627) /ج3/ص127.

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾[يونس: 18] (1).

2. دعاء العبادة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله دعاء العبادة هو" الذكر، فالذكر يسمى دعاء"(2)، وكذلك يشمل دعاء العبادة أنواع العبادات، القلبية أو البدنية أو المالية، كالخوف من الله ومحبة رجائه والتوكل عليه، والصلاة والصيام والحج، وقراءة القرآن والتسبيح والذكر، والزكاة والصدقة والجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..... إلخ. فكل قائم بشيء من هذه العبادات فهو داعٍ لله تعالى(3).

وكذلك تحمل كلمة اللهم معنى الخضوع، والاستكانة لله عزوجل، وتلك عبادات قلبية لا تنبغي إلا لله وحده.

وقوله:"**لا إله إلا أنت**": فيه دلالة صريحة على توحيد الألوهية، أي لا معبود بحق إلا أنت ياالله، وكل ما يعُبد سواك باطل، قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله(4):"لَا إِلَه إِلَّا الله :أَن لَا يأله الْقلب غير الله حباً ورجاءً وخوفاً وتوكلاً واستعانة وخضوعاً وإنابة وطلباً، ولا يصلح ذلك كله إلا لله ﷻ فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الألوهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول لا إله إلا الله، ونقصاً في توحيده (5).

وقولهﷺ "**أعوذ بك من شر ما صنعت**" تضمن الاستعاذة: وهي الالتجاء والتحصن بالله سبحانه، مما يدل على ضعف واستكانة العبد مقابل قوة خالقه، ومدى حاجته له، كذلك يتضمن نسبة الخير لله ﷻ وعدم نسبة الشر إليه، وإنما ما يفعل العبد من شر، فإنه منسوب

(1) انظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دون رقم طبعة، دون سنة النشر، 2/3.

(2) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ابن تيمية، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، ط مكتبة الفرقان – عجمان، ط الأولى 1422هـ – 2001هـ.

(3) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط الثانية، محرم 1424هـ، 216/1.

(4) ابن رجب : هو الإمام الحافظ العلامة زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود السلامي، البغدادي الدمشقي الحنبلي أبو الفرج الشهير بابن رجب، ولد في بغداد عام 736هـ، وتوفي عام 795هـ. انظر معجم المؤلفين، محمد بن رضا كحالة، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، دون رقم طبعة أو سنة النشر، 118/5.

(5) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط الرابعة، ،1397هـ، ص21.

للإنسان، أو للشيطان الذي وسوس له بفعل ذلك الشر، وإن كان ذلك الأمر واقعاً بتقدير الله الأزلي، لكن الله سبحانه لا يرضاه لعباده، ولكن حصل ذلك في تقديره الكوني، الذي يندرج تحته كل ما هو حاصل، من الإنسان، خيراً كان أو شراً.

المطلب الثالث: دلالة حديث سيد الاستغفار على توحيد الأسماء والصفات.

أولاً: التعريف بتوحيد الأسماء والصفات لغة واصطلاحاً.

1. توحيد الأسماء والصفات لغة:

أ- **الإسم لغة:** "اسم هو مشتق من السمو، وهو الرفعة، والأصل فيه سمو بالواو، وجمعه أسماء، مثل قنو وأقناء، وإنما جعل الاسم تنويها على الدلالة على المعنى، لأن المعنى تحت الاسم[(1)].

ب- **الصفة لغة:** هي من الوصف الواو والصاد والفاء: أصل واحد، هو تحلية الشيء. ووصفته أصفه وصفا. والصفة: الأمارة اللازمة للشيء، كَمَا يُقَالُ وَزَنْتُهُ وَزْنًا، وَالزِّنَةُ: قدر الشيء. يقال اتصف الشيء في عين الناظر: احتمل أن يوصف[(2)].

2. توحيد الأسماء والصفات اصطلاحاً:

"هو الإيمان بما وصف الله به نفسه؛ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله، والإيمان بما وصفه به رسوله ﷺ لأنه لا يوصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ"[(3)]، هذا يعني أن الأسماء والصفات توقيفية، لا مجال لإعمال العقل فيها؛ ولذلك لخصوصيتها فأمر خاص بالله سبحانه هو الأعلم به، فعلى العبد أن يؤمن بها، دون التفكير بالكيفية لا في الذات ولا في الصفات، وهذا هو منهج السلف، انطلاقاً من قول الحق تبارك وتعالى عن نفسه﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى:11].

"وهذا ما اتفق أهل السنة عليه هو أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. ولكن لفظ التشبيه قد صار في كلام الناس لفظاً مجملاً يراد به المعنى الصحيح،

(1) تهذيب اللغة، 79/13.
(2) معجم مقاييس اللغة، 15/6.
(3) الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً، محمد الأمين الشنقيطي، ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط الخامسة 1973م، ص8.

وهو ما نفاه القرآن ودل عليه العقل، من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته"(1).

ثانياً: دلالة حديث سيد الاستغفار على توحيد الأسماء والصفات.

لقد دلّ الحديث على أسماء الله تعالى وصفاته، وهذه الدلالة قد تكون دلالة مباشرة، أو ضمنية تفهم من خلال التحليل لألفاظ الحديث وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: دلالة الحديث على أسماء الله تعالى.

1- دلالة الحديث على اسم الله الأعظم "الله":

قد دلّ الحديث على اسم الله الأعظم في قوله" **اللهم**"، والمقصود بلفظ الجلالة الله :" هو المألوه المعبود، ذو الألوهية، والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هى صفات الكمال، وأخبر أنه الله الذي له جميع معاني الألوهية وأنه هو المألوه المستحق لمعاني الألوهية كلها، التي توجب أن يكون المعبود وحده المحمود وحده المشكور وحده المعظم المقدس ذو الجلال والإكرام"(2).

2- دلالة الحديث على اسم الله الخالق:

وفي الحديث اعتراف بوجود الصانع وتوحيده وهذا ما دلّ عليه قول" **خلقتني**"، فهذا اعتراف من العبد بأن الله هو الذي أوجده من العدم، فما دام اعترف العبد بوجود خالقه لزمه أن يوحده في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

فالخلق في اسم الله تعالى: "هو ابتداء النشء فالله تعالى خالقها ومنشئها وهو متممها ومدبرها ﴿ **فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾[المؤمنون: 14]" (3).

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية، 57/1.

(2) تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط112 - 1421هـ، ص164.

(3) تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ط دار الثقافة العربية، دون رقم طبعة، دون سنة النشر، ص36.

3- دلالة الحديث على اسم الله الرزاق:

وكذلك يتضمن الحديث اسم الله الرزاق، ويظهر ذلك في قولهﷺ:(أبوء بنعمتك علي)، فهذا القول يدلل على الاعتراف والإقرار، بأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو المتفضل بالنعم على العبد، حيث قال: ﴿ **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾[النحل: 53].

4- دلالة الحديث على اسم الله الغفار:

لقد دلّ حديث سيد الاستغفار على اسم الله الغفار دلالة واضحة، في قوله(**فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**)، فالعبد المؤمن يسأل خالقه في هذا الدعاء أن يستر ذنوبه ويتجاوز عنه؛ لأنه لا يملك الستر للذنوب إلا هو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهو الرقيب على أفعاله، العليم بما يصدر منه في خلواته وجلواته، فهو الذي كلف الكرام الكاتبين على إحصاء ما يلفظ من كلمات، وما يفعل من سيئات وحسنات، حيث قال تعالى: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**[ق: 14]

ثالثاً: دلالة الحديث على صفات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

لقد دلّ حديث سيد الاستغفار على صفات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بصورة غير مباشرة؛ حيث يفهم ذلك من خلال سياق الحديث، فمثل ذلك يقول الشيخ محمد السفاريني رحمه الله:"لقد دلّ حديث سيد الاستغفار، على ثبوت الصفات بطريق الالتزام؛ لأن الإله المعبود سبحانه لا يكون إلا كاملاً حيّاً قادراً، والمتعطل عن الصفات الكمالية في غاية النقص؛ إذ هو بالجماد أليق –تعالى الله وتنزه عن كل عيب–"(1)، وفيما يلي بيان دلالة الحديث على صفات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ:

1- دلالة الحديث على صفة العلم للخالق ﷻ:

لقد دل الحديث على صفتي العلم والحياة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فالحديث من بدايته إلى نهايته هو عبارة عن مخاطبة العبد ربه، وسؤاله المغفرة لذنوبه، فيلزم من هذا الخطاب إثبات صفة الحياة والعلم للخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فما دام العبد يؤمن بأنه سبحانه وتعالى عليم بسرائره، مطلع على أحواله فهذا أدعى لأن يشعر بالوجل من خالقه ، فيسأله اللطف بحاله ومغفرة ذنوبه.

---

(1) نتائج الأفكار، ص214

2- دلالة الحديث على صفة الكلام لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى:

لقد دلّ الحديث على إثبات صفة الكلام لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، هذه الصفة (الكلام) لازمة من الوعد الذي أعطاه رب العالمين للناس ويظهر ذلك في قول الداع(وأنا على عهدك ووعدك)،"فالله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وإنه يتكلم بصوت، وهذا هو مذهب السلف".[1]

3- دلالة الحديث على صفتي السمع والبصر لله ﷻ:

فالحديث فيه دلالة على صفتي السمع والبصر اللازمان من المغفرة؛ إذ المغفرة للمسموع وللمُبصَر لا يتصور إلا بعد السماع والإبصار [2]، فالعبد عندما يستشعر أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى يسمعه ويراه، يزيد ذلك من مدى حرصه على الطاعة والبعد عن المعصية، بل إن وقع في معصية تاب واستغفر وطلب العفو من خالقه.

(1) شرح العقيدة الطحاوية، ص57.

(2) حاشية السيوطي على سنن النسائي، 280/8، بتصرف.

المبحث الثاني

دلالة الحديث على خلق الإنسان

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: دلالة الحديث على خلق الإنسان.

المطلب الثاني: مبدأ الخلق وعجائب التكوين.

المبحث الثاني

دلالة الحديث على خلق الإنسان

المطلب الأول: دلالة الحديث على خلق الإنسان.

يدل الحديث دلالة واضحة على إيمان العبد بأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الذي أوجده من العدم في قوله:"**خلقتني**"، فقد خلق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ آدم عليه السلام من طين، ثم خلق ذريته من ماء مهين، وهذا الخلق يمر بمراحل إلى يولد، ويخرج إلى هذه الدنيا بشراً سوياً، وفيما يلي بيان مراحل خلق الإنسان:

أولاً: التخلق البشري في مرحلة النطفة:

تعريف النطفة لغة: النطفة الماء الصافي، والجمع النطاف، والنطفة ماء الرجل، والجمع نطف(1)، وهذه المرحلة من مراحل التخلق تمر بعدة أطوار:

الطور الأول: الماء الدافق:

يخرج ماء الرجل متدفقاً ويشير إلى هذا التدفق قولهﷻ ﴿ **فَلْيَنظُرْالْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ(5)خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ** ﴾[الطارق:5-6]، قال القرطبي رحمه الله(2):" الدافق هو المندفق بشدة قوته"(3).

ولا يستطيع الإنسان بالعين المجردة، أن يرى ما بداخل ذلك الماء من حيوانات منوية، ولكن بتطور العلم واختراع الأجهزة الحديثة، استطاع الإنسان أن يرى ذلك الماء بواسطة المجهر المكبر، وقد أثبت العلم الحديث أن الحيوانات التي يحتويها ماء الرجل لابد أن تكون حيوية متدفقة؛ وهذا شرط لحدوث الحمل. انظر:(شكل 1 من الملحق)، فيه يظهر المني أو ماء الرجل مكبراً(450) مرة كل حوين له رأس بيضاوي بارز قليلاً، وجسم متحرك يؤمن له القدرة على الحركة التي تساعده على الوصول إلى مكان الإخصاب) (4).

---

(1) انظر: لسان العرب، 335/9.

(2) القرطبي: أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي: فقيه مالكي، من رجال الحديث، يعرف بابن المزين، ومولده بقرطبة، من كتبه :المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، والجامع لأحكام القرآن، كان مدرساً بالإسكندرية وتوفي بها عام 656 هـ.انظر الأعلام، الزر كلي، 186/1.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م، 4/20.

(4) انظر: موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنةhttp://quran-m.com نقلاً عن Child is Born, New York, Delacorte Press, 1982 Permission from Nilsson et al, بتاريخ 2014/1/8م.

ومن المعلوم أن ماء الرجل يحوي بالإضافة إلى الحيوانات المنوية عناصر أخرى تشارك وتساعد الإخصاب مثال مادة البرستاغلاندين[1]، التي تحدث تقلصات في الرحم مما يساعد في نقل المنويات إلى موقع الإخصاب[2]، كما أن ماء المرأة يحوي بالإضافة إلى البويضة عناصر أخرى تساعد وتشارك في عملية الإخصاب، ومنها بعض الأنزيمات[3] ، التي تفرزها بطانة الرحم وقناته، التي تجعل المنوي قادراً على الإخصاب، وذلك بإزالة البروتين السكري من رأسه[4].

الطور الثاني: السلالة:

يشير القرآن الكريم إلى هذه المرحلة التى تمر بها النطفة حيث قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) [السجدة:8].

وخلال عملية الإخصاب يرحل ماء الرجل من المهبل ليقابل البويضة في ماء المرأة في قناة فالوب، ولا يصل من ماء الرجل إلا القليل ويخترق منوي واحد البويضة، ويحدث عقب ذلك مباشرة تغير سريع في غشائها يمنع دخول بقية المنويات[5]. انظر:(شكل 2 من الملحق، وفيه تظهر صورتان أخذتا بالمجهر الالكتروني، الصورة العليا تبين لحظة ملامسة الحيوان المنوي سطح البويضة، والصورة السفلى تبين دخول رأس الحيوان المنوي البويضة ويقوم غشاء خلية البويضة عندئذ بمنع دخول الحيوانات المنوية الأخرى[6]

ويشير الحديث النبوي إلى أن الإخصاب لا يحدث من كل ماء الذكر، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ:(**مَا مِنْ كُلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ خَلْقَ شَيْءٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْءٌ)** [7].

---

(1) البرستاغلاندين: هي عبارة عن عناصر ذائبة في الدهون موجهة للإفراز خارج الخلوي، وتلعب دوراً هاما في الكائنات الحية.انظر الموسوعة الحرة ويكيبديا http://ar.wikipedia.org بتاريخ 2014/1/8م.

(2) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي http://quran-m.com، نقلاً عن التناسل البشري، بيج وفيللي، ط3.

(3) الأنزيمات: عبارة عن آحاد بروتين أو معقد بروتيني معدني يعمل ضمن الجسم الحي في نطاق درجة حرارة الجسم الفيزيولوجية كوسيط يعمل على تسريع التفاعلات الكيميائية الحيوية. انظر: الموسوعة الحرة ويكيبديا http://ar.wikipedia.org بتاريخ 2014/1/8م.

(4) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي http://quran-m.com، نقلاً عن التخلق البشري، كيث مور، ص10.

(5) انظر: موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة http://www.eajaz.org بتاريخ 2014/1/8م.

(6) انظر: انظر: موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنةhttp://quran-m.com نقلاً عن Child is Born, New York, Delacorte Press, 1982 Permission from Nilsson et al, بتاريخ 2014/1/8م.

(7) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب حكم العزل، ح(1438)/ج2/ص1064.

الطور الثالث: الأمشاج:

أشار القرآن الكريم لهذه المرحلة حيث قال ﷻ: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ [الإنسان:2]، والأمشاج تعني: الأطوار كما ذكر ابن عباس ﷺ فقال: نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة، وتعني أيضاً الخليط ما بين الماءين، ماء الرجل وماء المرأة[1]، وجاءت كلمة الأمشاج في صيغة الجمع؛ لتدل على أنها قطرة مختلطة من ماءين، وفي هذه المرحلة تأخذ البويضة الملقحة شكل قطرة، وهذا يتفق تماماً مع المعنى الأول نطفة:أي قطرة، وهذه النطفة الأمشاج تعرف علمياً (بالزيجوت) [2]، فكلمة أمشاج من الناحية العلمية دقيقة تماماً وهي صفة جمع تصف كلمة نطفة المفردة، التي هي عبارة عن كائن واحد، يتكون من أخلاط متعددة تحمل صفات الأسلاف والأحفاد لكل جنين، وتواصل هذه المرحلة نموها، وتحتفظ بشكل النطفة، ولكنها تنقسم إلى خلايا أصغر فأصغر تدعى قسيمات جرثومية، بعد أربعة أيام تتكون كتلة من الخلايا تعرف بالتوتية[3] [4]، وهذه الكتلة المسماة بالتوتية . انظر:(شكل 3 من الملحق، وفيه تظهر صورة مجهرية للنطفة في طور التوتية[5].

الطور الرابع: الحرث

تبقى النطفة إلى ما قبل طور الحرث (الانغراس) متحركة وتظل كذلك حين تصير أمشاجاً وبعد ذلك، وبالتصاقها بالرحم تبدأ مرحلة الاستقرار التي أشار إليها الحديث النبوي حيث قال النبي ﷺ (**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ،**

---

(1) انظر: الكشاف، الزمخشري، ط دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثالثة – 1407 هـ،666/4.

(2) الزيجوت: وتعني البويضة الملقحة من الحيوان المنوي.انظر: الموسوعة الحرة – ويكيبديا، http://ar.wikipedia.org بتاريخ 2014/1/8م.

(3) التوتية: عبارة عن كرة مجوفة أو أريمة الحيوانات ثنائية التناظر. انظر: الموسوعة الحرة – ويكيبديا، http://ar.wikipedia.orgبتاريخ 2014/1/8م.

(4) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي http://quran-m.com بتاريخ 2014/1/8م.

(5) انظر: موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنةhttp://quran-m.com نقلاً عن Child is Born, New York, Delacorte Press, 1982 Permission from Nilsson et al, بتاريخ 2014/1/8م.

وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ...)[1] وفي نهاية مرحلة الأمشاج ينغرس كيس الجرثومة في بطانة الرحم بما يشبه انغراس البذرة في التربة في عملية حرث الأرض، وإلى هذه العملية تشير الآية في قوله تعالى:﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ.** ﴾ [البقرة:223]. وبهذا الانغراس يبدأ طور الحرث ويكون عمر النطفة ستة أيام، وطور الحرث هو آخر طور في مرحلة النطفة، وبنهايته ينتقل الحميل من شكل النطفة ويتعلق من شكل النطفة ويتعلق بجدار الرحم ليبدأ مرحلة جديدة، وذلك في اليوم الخامس عشر [2].

ثانياً: التخلق البشري في مرحلة العلقة والمضغة:

ا – طور العلقة:

العلقة في اللغة: الدم عامة والشديد الحمرة أو الغليظ أو الجامد[3]، وفي هذه المرحلة تنغرس النطفة بالمشيمة البدائية بواسطة ساق موصلة تصبح فيما بعد الحبل السري، وفي أثناء عملية الحرث تفقد النطفة شكلها لتتهيأ لأخذ شكل جديد هو: العلقة، الذي يبدأ بتعلق الجنين بالمشيمة، ووصف القرآن الكريم هذا التعلق بالعلقة، ويظهر ذلك في الذي يوضح انغراس النطفة في المشيمة.

وطبقاً لمعنى (دم جامد أو غليظ) للفظ العلقة، نجد أن المظهر الخارجي للجنين وأكياسه يتشابه مع الدم المتخثر الجامد الغليظ، لأن القلب الأولي وكيس المشيمة ومجموعة الأوعية الدموية القلبية تظهر في هذه المرحلة، وتكون الدماء محبوسة في الأوعية الدموية – حتى وإن كان سائلاً، ولا يبدأ الدم في الدوران حتى نهاية الأسبوع الثالث، وبهذا يأخذ الجنين مظهر الدم الجامد أو الغليظ مع كونه دماً رطباً،، وفي طور العلقة يتشكل المخ، والقلب [4]. انظر:(شكل 4 من الملحق، وفيه يظهر تخلق القلب والمخ) [5].

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ج4/ص2036/ح2643.

(2) انظر: موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة http://www.eajaz.org بتاريخ /2014/1م.

(3) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط دار القلم– الدار الشامية – دمشق بيروت، ط الأولى 1412 هـ، 1/ 579.

(4) انظر: موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنةhttp://www.eajaz.org بتاريخ 2014/1/8.

(5) انظر: المصدر نفسه.

ب- طور المضغة:

إذ وجد أنه بعد تخلق الجنين والمشيمة في هذه المرحلة يتلقى الجنين غذاءه وطاقته، وتتزايد عملية النمو بسرعة، ويبدأ ظهور الكتل البدنية المسماة فلقات التي تتكون منها العظام والعضلات. ونظراً للعديد من الفلقات (الكتل البدنية) التي تتكون فإن الجنين يبدو وكأنه مادة ممضوغة عليها طبعات أسنان واضحة فهو مضغة. يكون الجنين في اليومين 23-24 في نهاية مرحلة العلقة، ثم يتحول إلى مرحلة المضغة في اليومين 25-26 ويكون هذا التحول سريعاً جداً، ويبدأ الجنين خلال آخر يوم أو يومين من مرحلة العلقة اتخاذ بعض خصائص المضغة، فتأخذ الفلقات في الظهور لتصبح معلماً بارزاً لهذا الطور [(1)].

انظر: (شكل 5 من الملحق، وفيه يظهر الجنين في بداية مرحلة المضغة) [(2)].

ثالثاً: تحول المضغة إلى العظام ثم كسوتها باللحم.

قال تعالى:﴿ **فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا**﴾[المؤمنون:13]، قال العلماء:"فهذه الآية لا تشير فقط إلى بدء تشكل العظام قبل تشكل اللحم(العضلات)، كما لا تقتصر على الإبداع التعبيري الواقعي، في تصوير علاقة العضلات بالعظام على أنها علاقة كساء، ومن يدرس التشريح يعلم تماماً كيف تحيط العضلات بالعظام كأنها كساؤها، ولكنها تشير أيضاً في تقدير الأطباء إلى عملية التمايز والتخلق التي تبتديء من تلك المضغة الصغيرة"[(3)].

رابعاً: مرحلة الخلق الآخر.

في هذه المرحلة تكتمل أجزاء جسم الجنين، ويميل محصول الحمل نحو الزيادة في الوزن بعد الشهر الثالث، وتسعى الأجهزة التي تشكلت نحو التكامل، حتى أن بعض الأجهزة تبدأ عملها أثناء الحياة الجنينية، كالقلب وجهاز الهضم، وبشكل عام فإن أهم ما يطرأ على الجنين بعد الشهر الثالث هو: الحركة ونبضان القلب، واستقلال إفراز المشيمة، والنمو المتسارع في حجم الجنين، وتكامل شكله الخارجي[(4)]. انظر:(شكل 6 من الملحق، وفيه يظهر **الجنين في مرحلة الخلق الآخر وهي مرحلة الاستعداد للخروج للحياة)** [(5)]

---

(1) انظر: موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنةhttp://www.eajaz.org بتاريخ 2014/1/8.
(2) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، http://www.quran-m.com بتاريخ 2015/8/1م.
(3) انظر: مع الطب في القرآن الكريم، ص 83.
(4) المصدر السابق، ص 83.
(5)انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، http://www.quran-m.com بتاريخ 2015/8/1م.

فتبارك الله أحسن الخالقين، خلق فأبدع، فعلى العبد أن يشكر ربه على تلك النعم المحيطة به، خلقه فأحسن صورته، أفلا يجدر بكل مخلوق على وجه الأرض أن يحمده، بل ويطيعه، ويجعل حبه في المرتبة الأولى، لكن هناك من حادّ عن الطريق، فعبد غيره، ولكنه سبحانه غني عن العالمين، فالعبد يطيعه كي ينجو من عذابه، ويفوز بغفرانه .

المطلب الثاني: مبدأ الخلق وعجائب التكوين.

ظهر لنا مدى الإتقان في تخلق الإنسان، خلال مروره بالمراحل، منذ أن كان نطفة خرجت من صلب أبيه، وماء خرج من أتراب أمه، مما يزيد إيمان العبد، عندما يرى مدى ضعفه، وقدرة خالقهﷻ:، فحديثي في هذا المطلب سيكون عن الإعجاز في أعضاء جسم الإنسان.

أولاً: القلب

وقد بدأت بالحديث عن القلب؛ لأنه أول الأعضاء تشكلاً في مرحلة التخلق البشرى هذا من الناحية المادية؛ أما من الناحية الروحية فلأنه ملك الأعضاء، وبصلاحه؛ يكون صلاح الجسد كله، وفي مثل ذلك قال الشيخ محمد السفاريني في نتائج الأفكار:"فأما القلب؛ فهو الملك المشغل لجميع آلات البدن، المستخدم لها؛ فهو محفوف بها، محشود، مخدوم، مستقر في الوسط، وهو أشرف أعضاء البدن، وبه قوام الحياة، وهو منبع الروح الروحاني والحرارة الغريزية، وهو معدن العقل، والحلم، والشجاعة، والكرم،إلخ من الصفات[1].

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** ﴾ [الإسراء:36]. ذلك القلب ذو الحجم الصغير، حجمه في قبضة اليد يزن 312غرام، تبلغ ضربات قلب الرجل(60–80) في الدقيقة الواحدة، ينبض في العام(40مليون) مرة، وفي كل نبضة يدخل القلب حوالي(ربع رطل) من الدم، والدم الذاهب إلى الدماغ يعود إلى القلب في ثمان ثوان، بينما يعود الدم الذاهب إلى أصابع القدم في(18) ثانية [2]. انظر: (شكل 7 من الملحق، حيث يوضح رسم توضيحي لأجزاء القلب) [3].

فسبحان من خلقه، فلو تعطل للحظة، فقد الإنسان حياته، ألا يجدر بكل عاقل أن يشكره ليل نهار، ويستغفره في كل وقتٍ وفي كل حين.

---

(1) انظر: نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار، ص256.

(2) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، محمد سامي علي، ط دار المحبة – دمشق، دون رقم طبعة، دون سنة النشر، ص133.

(3) انظر :http://paledream.com ، بتاريخ2015/8/1م.

ثانياً: الأذن.

يقول سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مقدماً لفظ السمع قبل البصر: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون:78]، وقد ورد السمع والبصر معاً(12) مرة.

و الحكمة من ذلك اعتماداً على بعض مكتسبات العلم:

أ- تبدأ وظيفة السمع بالعمل قبل الإبصار، فقد تبين أن الجنين يبدأ بالسمع في نهاية الحمل، بينما لا تبدأ عملية الإبصار إلا بعد الولادة بأيام.

ب- من الحقائق التي تجعل السمع أكثر أهمية من البصر هي؛ أن تعلم النطق يتم عن طريق السمع بالدرجة الأولى، وإذا ولد الإنسان وهو أصم فإنه يصعب عليه الانسجام مع المحيط الخارجي؛بينما هنالك الكثير ممن حُرم نعمة البصر وهم صغار، ومع ذلك تعلموا وبلغوا درجة راقية.

ج- العين مسؤولة عن وظيفة البصر، أما الأذن فمسؤولة عن وظيفتي السمع والتوازن، وقد تكون العبرة في هذا الترتيب أكثر من ذلك[1].

فشكر هذه النعمة، يتمثل في سماع الخير؛ لكي يحفظ العبد نفسه وقلبه؛ لأن العبد يتأثر بما يسمع، فيحفظ سمعه عن الغيبة والنميمة، وعن الأصوات التي تهيج المشاعر، وتثير الغرائز، وتحرك في النفس ما يضرها[2].

وتتكون أذن الإنسان من ثلاث طبقات وهي الأذن الخارجية والوسطى والداخلية، وهي ترتيبات محكمة، فكل من هذه الغضاريف المعرجة، والدهاليز المعوجة، والقاعات المتداخلة، والأقنية المتواصلة، والمياه السائلة الراكدة؛ إنما أحكمت لأجل ترقية توزيع الاهتزازات الصوتية على وجه يضعف قويها، ويقوي ضعيفها؛ ليتقي الجهاز السمعي كل صدمة[3].

ثم اقتضت حكمة الخالق الحكيم سبحانه؛ أن جعل ماء الأذن مُرّاً في غاية المرارة؛ فلا يتجاوزه الحيوان إلى باطن الأذن، بل إذا وصل إليه؛ أعمل الحيلة في رجوعه[4]. انظر: (شكل 8 من الملحق؛ فهو يوضح لنا طبقات الأذن الثلاث) [5].

---

(1) مع الطب في القرآن الكريم، د.عبد الحميد دياب- د.أحمد قرقوز، ط مؤسسة علوم القرآن- دمشق، بيروت، ط الأولى 1400هـ-1980م، ص53.

(2) انظر: الإنسان في ضوء العلم والقرآن، ص131.

(3) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص136، نقلاً عن قصة الإيمان، للشيخ نديم الجسر، ص394.

(4) نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار، ص249.

(5) انظر:http://www.werathah.com ، بتاريخ 2015/8/1م.

ثالثاً: العين.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ [البلد: 8]، فالعين من النعم التي أنعمها الخالق عزوجل على العبد؛ فبواسطتها يستطيع أن يتعرف على الدنيا من حوله؛ كما تتيح له الاستمتاع بالمناظر الطيبة، التي يحفل بها الكون، من الزروع النضرة، ويستطع التفكر في خلق الله، والحكمة من وجود عينين لا عين واحدة؛ حتى يبصر بهما؛ وحتى يستطيع رؤية الأشياء بصورة جيدة، من حيث القرب والبعد، ومن حيث الشكل والحجم، فلكل عين من هاتين العينين، مجال إبصار خاص بها، كما أن لها قوتها الخاصة بها كذلك، وباستغلال كفاءة العينين معاً تظهر أهميتهما، في القدرة على رؤية الأشياء؛ ولأن وجود العينين في الوجه يضفي عليه لوناً من جمال الخلقة، ومسحة من الجمال؛ ومن أجل هذا امتن الله على بني الإنسان قائلاً:﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴾ [الانفطار:6-8] [(1)].

أودع الله في العين الواحدة حوالي(140) مليون مستقبل للضوء، وهي ما تسمي بالمخاريط والعصي، يبلغ عدد المخاريط في كل عين (7ملايين)، وعدد العصيات (130مليون) مهمة الأولى للضوء المركز والألوان، والثانية للضوء الضعيف والعادي، هذه المخاريط والعصي تمثل شبكية الاستقبال في العين، والشبكية هذه هي نصف كرة ترقد في قاع العين، وترى بفضل منظار القعر بشكل جميل للغاية، ويغلف الشبكية كوتان (الأولى) غزيرة بالندوبة الدموية، والثانية طبقة صلبة حامية، ويتحكم في حركات العين ست عضلات،ويشرف على التوازن الدماغ والمخيخ والبصلة السيسائية ويخرج من العين، نصف مليون ليف عصبي ينقل الصورة بشكل ملون[(2)]. "وقد جعل الله ﷻ ماء العين مالحاً؛ ليحفظها؛ فإنها شحمة قابلة للفساد، فكانت ملوحة مائها صيانة لها وحفظاً"[(3)]. انظر: (شكل 9 من الملحق وتظهر فيه أجزاء العين الداخلية) [(4)].

رابعاً: الفم وتكوينه (اللسان- الشفتان- الأسنان-الحنجرة)

أ- **اللسان:** شق الله ﷻ الفم في أحسن موضع، وأليق به، وأودع فيه من المنافع، وآلات الذوق والكلام، وآلات القطع والطحن، ما تبهر العقول عجائبه؛ فأودعه اللسان الذي هو أحد آياته الدالة عليه سبحانه، وجعله ترجماناً لملك الأعضاء مبيناً عنه[(5)].

---

(1) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص133-140.

(2) انظر: مع الطب في القرآن الكريم، ص41، وانظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص133.

(3) نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار، ص249.

(4) انظر: http://www.elaana.com، بتاريخ 2015/8/1م.

(5) المصدر السابق، ص251.

"ويقوم اللسان بالمضغ والبلع وذوق الطعام والتصويت، وفيه(17) عضلة متحركة إلى كافة الجهات وثلاثة أعصاب لتنظيم نقل الحس، وعلى سطح اللسان(9000تسعة آلاف) نتوء ذوقي؛ لمعرفة طعم الحلو والحامض والمر والمالح، وإن حركة اللسان في أي اتجاه تنتج حرفاً معيناً، وبذلك يستطيع أن ينطق بفصاحة، وأثناء المضغ والبلع تفرز (6) غدد بفوهات اللعاب إلى الفم لتطرية الطعام، وتهيئته المبدئية للهضم"[(1)].

أي كلمات تكفي لشكر الخالق؟؟؟!!! فلو عبدناه ليل نهار، لا نستطع أن نشكره على تلك النعم، سبحانه ما خلق هذا باطلاً، وكفى بمنح تلك النعم؛ أن تُزيد من حب العبد لربه.

ب- الشفتان:

"اقتضت حكمة الباري ﷻ أن جعل الشفتين لحماً صرفاً لا عظم فيه ولا عصب؛ ليتمكن بهما من مص الشراب؛ ويسهل فتحهما وطبقهما، وخص الفكّ الأسفل بالتحريك؛ لأنه الأخف، وتحريك الأخف أحسن، ولأن الأعلى يشتمل على الأعضاء السريعة؛ فلم يخاطر بها في الحركة"[(2)].

لقد زوّد الباريﷻ هاتين الشفتين بقوة مرهفة من الإحساس؛ ليصدا كل مؤذ، وزودها بغدد تفرز اللعاب لتظلا رطبتين، وربطتا بأعصاب تجعل كل حركة لهما، بإرادة الإنسان واختياره ليفتحهما متى شاء، ويغلقهما متى شاء[(3)].

ج- الأسنان:

زَيَّن الله ﷻ الفم بما فيه من الأسنان ؛التي هي جمال له وزينة؛ وبها قِوام العبد وغذاؤه، وجعل بعضها آلة للقطع؛ فأحكم أُصولها، وحدد رؤوسها، وبيّض لونها، ورتبّ صفوفها؛ متساوية الرؤوس، متناسقة الترتيب، كأنها الدُّر النظيم بياضاً وصفاءً وحُسناً[(4)].

د- الحنجرة:

"خلق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الحناجر، مختلفة الأشكال في الضيق والخشونة والملاسة، والصلابة واللين، والطول والعرض والقصر؛ فاختلفت بذلك الأصوات أعظم اختلاف؛ فلا يكاد يشتبه صوتان إلا نادراً؛ ولهذا كان الصحيح قبول شهادة الأعمى لتمييزه بين الأشخاص بأصواتهم،

---

(1) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص134
(2) نتائج الأفكار، ص252.
(3) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص135.
(4) نتائج الأفكار، ص252.

كما يميز البصير بينهم بصورهم، والاشتباه العارض بين الأصوات كالاشتباه العرض بين الصور "(1).

خامساً: الأنف.

بواسطته يشم الإنسان ويدرك رائحة الأشياء، وتتم بواسطة الأنف ذي الخلايا الحساسة، فإن مخاطيته ذات غشاء قاعدي سميك وهي أدمة رخوة فيها غدد مختلطة مركبة، وفيها عروق دموية، وأخرى شعرية بلغمية، وشبكات عصبية متعددة متشعبة تنتهي في الأدمة تنساب في ثناياها، وزود الله ﷻ الأنف بشعيرات؛ لاستقبال الهواء وتنقيته وتنظيفه من أي شائبة، وتدفقه إذا كان بارداً؛ حتى لا يصاب المرء باحتقان الشعب الهوائية، ويتم ذلك بواسطة شبكة من الشعر تقوم بترسيب الشوائب العالقة بالهواء(2).

"كما ويوجد بالأنف جزء خاص بالشم، موجود ببطانة الجزء العلوي من الأنف، وهو عبارة عن شعيرات رقيقة تنتهي إلى ما يسمى بالبصلة، وحينما يستنشق الإنسان الهواء الجوي الذي توجد به بعض الروائح أو العطور، فإن هذا الهواء عندما يمر على الشعيرات الرقيقة فإن جزيئات العطر تعمل على تنبيه هذه الشعيرات، فتقوم هذه الشعيرات بإرسال إشارات كيماوية للبصلة الشمية، فتعمل هذه الأخرى على إرسال سيال عصبي إلى العصب الشمي فتصل هذه الإشارة من العصب الشمي إلى مركز الشم بالمخ، فيقوم بتمييز هذه الرائحة، فيصدر أوامره بالاقتراب منها أو الابتعاد عنها، ومن الملاحظ أن متوسط عدد الروائح التي يدركها الإنسان تبلغ حوالي 4000رائحة، وقد تزيد عن هذا العدد عند بعض الناس، لتصبح 10000رائحة مختلفة، فسبحان الله الذي أعطى وأنعم وأغدق(3). انظر:(شكل 10 من الملحق فهو يوضح تشريح لأجزاء الأنف الداخلية) (4).

فسبحان الله الذي أعطى وأنعم وأغدق، وأكرم عباده بهذه النعم. فهذا غيض من فيض الإعجاز العلمي في خلق الإنسان وما ذكرته هو معشار ما خلقه الله، ولكن أردت في هذا البحث أن أبين بعض عجائب التكوين في خلق الإنسان، فعلى الإنسان أن يحمده مع عجزه عن الوفاء بحق الله عليه لكن كما قال سيدنا موسى عليه السلام :" يا رب، كيف لي أن أشكرك وأصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك لا يجازي بها عملي كله؟ قال: فأتاه الوحي: "أن يا موسى، الآن شكرتني "(5).

---

(1) نتائج الأفكار، ص252.

(2) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص135.

(3) انظر: الإنسان في ضوء العلم والقرآن، ص157.

(4) انظر :http://www.tbeeb.net ، بتاريخ2015/8/1م

(5) الشكر، ابن أبي الدنيا، تحقيق: بدر البدر، المكتب الإسلامي – الكويت، ط الثالثة، 1400هـ – 1980، ص7.

الفـــصل الثاني

العبادة والعهد والوعد بين العبد وربه .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: العبادة شروطها وأركانـها وأنواعها

المبحث الثاني : العهد والوعد بين العبد وربـه

المبحث الأول

العبادة شروطها وأركانها وأنواعها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : التعريف بالعبادة.

المطلب الثاني : شروط العبادة وأركانها.

المطلب الثالث : أنواع العبادة.

المبحث الأول

العبادة شروطها وأركانها وأنواعها

المطلب الأول: التعريف بالعبادة لغة واصطلاحاً .

أولاً: العبادة لغة.

العبادة: هي الطاعة مع الخضوع، ويقال طريق معبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء[1]. ويقول الزّجاج[2]: وأصل العبودية الخضوع والتذلل، ويقال للمشركين هم عبدة الطاغوت، ويقال للمسلمين عباد الله يعبدون الله، والعابد: الموحد[3].

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: "العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها، لأنها غاية التذلل"[4].

يظهر لنا من خلال التعريف اللغوي للعبادة: أنها غاية التذلل والخضوع والانقياد لله تعالى.

ثانياً: العبادة اصطلاحاً.

عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال:" اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله ونهايته"[5].

وفي مثل ذلك قال ابن القيم رحمه الله في النونية:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مـع ذل عابده همـا قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان [6].

(1) انظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الأولى2001م،13./2، وانظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط دار الدعوة، دون رقم طبعة، دون سنة نشر،579/2.

(2) الزّجاج: إبراهيم ابن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة، ولد في بغداد ومات فيها عام 311هـ، صارت له ثروة كبيرة؛ لعمله كاتب عند القاسم وزير البلاد آنذاك، ومن كتبه: معاني القرآن، والاشتقاق، وخلق الإنسان، ومات عام311هـ–923 م انظر:الأعلام،الزر كلي،40/1.

(3) انظر: لسان العرب، 271/3.

(4) المفردات في غريب القرآن،542/1.

(5) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، دون رقم طبعة – 1416هـ/1995م،19/10.

(6) متن القصيدة النونية، ابن القيم، ط مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط الثانية، 1417هـ،35/1.

من خلال تعريف العبادة، يتبين لنا أنه لابد من توفر كمال الحب مع كمال الذل لله في عبادة المرء، فإن لم يصدر عمله عن قلب محب متذلل لخالقه، انتفى عن عمله جوهر العبادة.

المطلب الثاني: شروط العبادة وأركانها.

أولاً: شروط العبادة.

اشترط الشارع الحكيم للعبادة شروطاً لابد من توفرها؛ حتى تكون مقبولة، وقد بينها علماء الإسلام في كتبهم عند الحديث عن العبادة فقال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وجماع الدين أصلان: ألا نعبد إلا الله ولا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بالبدع، وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمد رسول الله، ففي الأولى: ألا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره" [1].

كما أضاف الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله [2]في كتابه معارج القبول شرطاً لصدور العبادة وهو صدق العزيمة فقال:" فهذه الثلاثة أركان شروط في العبادة لا قوام لها إلا بها؛ فالعزيمة الصادقة شرط في صدورها، والنية الخالصة، وموافقة السنة شرط في قبولها، فلا تكون عبادة مقبولة إلا باجتماعها"[3].

فمن خلال ما سبق نستنتج أن العبادة لها ثلاثة شروط، شرطان لقبول العبادة، وشرط ثالث في صدورها، وفيما يلي بيان لتلك الشروط.

الشرط الأول: الإخلاص:

والمقصود بالإخلاص في العبادة هو إفراد الله عزوجل بالقصد في الطاعة[4]. فلا يكون المقصد من العمل إلا رضا الله عزوجل، فهذا المُبتغى و المقصد يجب أن يكون ملازماً لكل عملٍ حتى يقبله الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك، فقد بين ذلك سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في القرآن الكريم، وكذلك حث النبيﷺ أمته على الإخلاص في العمل، وبيّن أن الله لا يقبل عملاً إلا إذا كان

---

(1) العبودية، 148/1 بتصرف.

(2) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي: فقيه أديب، من علماء (جيزان) بين الحجاز واليمن، ولد في قرية (السلام) التابعة لمدينة المضايا، ولما بلغ السادسة عشرة بدأ بطلب العلم، ثم تفرغ للدراسة فظهر فضله، من كتبه المطبوعة، وكلها رسائل: الجوهرة الفريدة في العقيدة، واللؤلؤ المكنون في أحوال السند والمتون، توفي بمكة عام 1377 هـ، 1958 م. انظر: الأعلام، الزر كلي، 159/2.

(3) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط دار ابن القيم – الدمام، ط الأولى، 1410 هـ – 1990 م، 442/2.

(4) انظر: مدارج السالكين، 91/2.

خالصاً لوجهه الكريم، وكذلك السلف الصالح ضربوا لنا أمثلة رائعة في الإخلاص فعاد ذلك عليهم بأن بقيت أعمالهم وارتفع ذكرها على مر العصور. وفيما يلي بيان ذلك:

الدليل من القرآن الكريم:

أمرنا الله بالإخلاص في العبادة لأنه لا يقبل عملاً إلا إذا كان خالصاً له حيث:﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ﴾[البينة: 5]، أي:" جاعلين دينهم خالصاً له سبحانه أو جاعلين أنفسهم خالصة له في الدين"[1].

وقال سبحانه:﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾[الأعراف: 29]، وتفسير هذه الآية: "ادعوه مخلصين له الدين":"أي مبتغين بها وجه الله خالصاً"[2].

وقال أيضاً:﴿ **فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾[غافر: 14]، قال ابن عباس رضي الله عنه:" مخلصين لله بالعبادة والتوحيد"[3].

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يقبل عمل يُشرك به غيره، لذلك قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾[الكهف:110]، أي:" من كان يؤمل حسن لقائه أو يخاف سوء لقائه؛ فليعمل عملاً صالحاً يرتضيه الله، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا: بأن يرائيه أو يطلب منه أجراً، والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والإخلاص في الطاعة"[4].

يتضح لنا من خلال تفسير تلك الآيات وجوب توفر شرط الإخلاص في العمل؛ لمن أراد أن يفوز بخيريّ الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يُرزق التوفيق والسداد، وبقاء الأثر بعد الممات، وفي الآخرة يحوز على غفران ما صدر منه من خطايا وزلات، لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا** ﴾[النساء:48].

---

(1) فتح القدير، 580/5.

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط دار الفكر المعاصر – دمشق، ط الثانية، 1418 هـ، 176/8.

(3) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب لعبدالله بن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ط دار الكتب العلمية – لبنان، دون رقم طبعة، دون سنة النشر، ص394.

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق:محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الأولى – 1418 هـ، 295/3.

2- الدليل من السنة النبوية:

حثّ النبي ﷺ أمته على الإخلاص في العمل؛ لاستغناء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن العبادة التي يُشرك فيها غيره حيث قال رسول اللهﷺ: **قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:" أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**(1)"، أي أن الله غني عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيئاً له ولغيره لم يقبله بل يتركه لذلك الغير والمراد: أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به(2).

فالإخلاص هو شرط العبادة الأول ومن أهميته أنه المؤشر لقبول العمل الصالح، وكذلك يُكفر عن الذنوب والخطايا، فالعبد إن ارتكب الذنوب، ثم عمل عملاً، فيه منفعة لمن حوله، كإماطة الأذى عن الطريق، وسقيا الحيوانات، غفر الله له، وأدخله جنته، وفي الحديث الشريف دليل ذلك فقد قال النبي ﷺ:" **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**(3)، وقول النبي ﷺ:" **أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا**"(4).

فقد عقب ابن تيمية على هذين الحديثين بقوله: أنه ليس كل من أماط الأذى عن الطريق، مغفور الذنب، وإنما هذا الرجل غفر له؛ لأنه فعله بإيمانٍ خالص، وإخلاص قائم بقلبه، وكذلك البغيّ غُفر لها؛ لأنها سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها، وإلا فليس كل بغي سقت كلباً يغفر لها (5).

وكما وأن الإخلاص ضروري لدوام الخير واستمراره، كما قال الإمام مالك عندما صنف الموطأ :" أنه لا يرتفع من هذا إلا ما أريد به وجه الله"، قال هذه العبارة عندما قيل له شغلت نفسك بعمل هذا الكتاب وقد شركك فيه الناس وعملوا أمثاله"(6).

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من أشرك في عمله غير الله، ح(7584)/ج8/ص223.
(2) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 116/18.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب فضل التهجير إلى الظهر، ح (652)/ج1/ص132.
(4) أخرجه مسلم، كتاب الحيوان، باب في كل كبدٍ رطبة أجر، ح(5921)/ج7/ص44.
(5) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الأولى، 1406 هـ - 1986م، 221/6.
(6) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ،ط وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، دون رقم طبعة- 1387 هـ،86/1.

فعلاً ولم يبقى أثر لتلك الموطآت، في حين أن موطأ الإمام مالك هو الذي بقي من بينها، واعتني به من قبل طلاب العلم، من تحقيق وتدقيق(1).

فبالنية الخالصة يُقبل العمل الصغير، وبإشراك النية يُحبط العمل الكبير كما قال ابن المبارك رحمه الله(2): "رُبَّ عملٍ صغيرٍ تُكثره النية، ورُبَّ عملٍ كبيرَ تُصغره النية"(3) وبالإخلاص يحمي الإنسان نفسه من الشياطين؛ فهو حصن حصين فلذلك الشيطان نفسه قال لله عزوجل لما أخذ العهد على نفسه أن يغوي عباده قال: ﴿ **إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾[ص:83] (4) .

فالله لا يقبل عمل يُشرك به غيره،كما قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف:110]، أي من كان يحب أن يلقى الله وهو راضٍ عنه، فليعبده بالطريقة الصحيحة كما أراد عز وجل، ولا يقصد من عمله إلا الله وحده لا شريك له.

ومما يدلل على أهمية الإخلاص أيضاً، اهتمام العلماء بهذا الجانب، استهلال كتبهم بالحديث عن النية وأهميتها في قبول العمل، فالبخاري بدأ كتابه الجامع المسند الصحيح بحديث "**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**"(5).

كما أن كل عمل مباح، يعمله العبد بنية التقرب إلى الله، عدّ هذا العمل من العبادات، وإن كان هذا العمل في حد ذاته عادة، تشترك معه كافة المخلوقات لفعلها، حتى لو كان طعاماً يأكله، أو نوماً يريح به جسده المنهك، إذ تتحول العادة إلى عبادة بالنية الخالصة لوجه الله، فكيف يكون ذلك؟!أي كيف يكون الأكل والنوم عبادة، نقول: أن الإنسان إن نام واحتسب الأجر من النوم يعد ذلك بمرتبة العبادة، وهكذا كل عادة ابتُغي بها وجه الله عدّت بمنزلة العبادة، وأستدل على ما أقول

---

(1) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، 86/1.

(2) ابن المبارك: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظليّ بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن: الحَافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات، أفنى عمره في الأسفار، حاجا ومجاهدا وتاجرا، وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكان خراسان، ومات وهو منصرفاً من غزو الروم، عام 181 هـ- 797 م له كتاب في " الجهاد " وهو أول من صنف فيه. انظر:الأعلام 115/4.

(3) سير أعلام النبلاء،378/7.

(4) سلسلة أعمال القلوب، ص14.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، ح(1)/ ج1/ص6.

من فعل الصحابة رضوان الله عليهم، فعندما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن، سأله أبو موسى الأشعري عن كيفية قراءته للقرآن: **قَالَ: أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ، فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي**"(1).

فقول معاذ بن جبل: فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، معناه أنه يطلب بنومته الأجر من الله، كمثل الأجر الذي يرجوه من قراءته، وكذلك الإنفاق على الأهل، إن احتسب العبد الأجر اعُتبر عبادة، فقد قال النبي ﷺ:" **إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً**"(2)

ومن الفوائد التي تعود على العبد نتيجة إخلاصه، محبة الناس وإقبالهم عليه، وفي مثل هذا يقول ابن قيم الجوزية: "وقد جرت عادة الله التي لا تُبدل، وسنته التي لا تُحول أن يُلبس المُخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق وإقبال قلوبهم إليه ما هو بحسب إخلاصه ونيته ومعاملته لربه، ويُلبس المرائي اللابس ثوبي الزور من المقت والمهانة والبِغضة ما هو اللائق به، فالمخلص له المهابة والمحبة، وللآخر المقت والبغضاء"(3).

الشرط الثاني :المتابعة.

والمقصود بها: موافقة العمل لهدي النبي ﷺ، ﷺ، فمن كان عمله خلاف المنهج النبوي الشريف فهو رد، كما أخبرنا سيدنا محمدﷺ حيث قال:(**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ منه فَهُوَ رَدٌّ**) (4)، أي لا اعتبار لهذا العمل ما دام مخالفاً للهدي النبوي، وقد حذر النبي ﷺمن الابتداع في العبادة حيث قال: "**عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**"(5)، ففي هذا الحديث وصية من النبي ﷺ لأمته بإتباع سنته والبعد عن البدع، فهي ضلالٌ ومهلكةٌ لكل من تبع هواه وجاء للدين بأمور مخالفة للسنة؛ وفي مخالفة الرسول ﷺ، قدح في الرسالة، وكأن النبيﷺ لم يتم الرسالة، مع أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، ح (4341)/ ج5/ص161.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاحتساب في النفقة على الأهل، ح (2285)/ج3/ص81.

(3) إعلام الموقعين عن رب العالمين،153/4.

(4) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، ح (4606)/ج 4/ص200 ، وقال الألباني: صحيح.

(5) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ح(42)/ ج1/ص15، وقال الألباني: صحيح.

قال: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[المائدة: 3].

الشرط الثالث: صدق العزيمة.

والمقصود به"هو ترك التكاسل والتواني وبذل الجهد في أن يصدق قوله بفعله"[1]، لذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴾[الصف: 2].

فقد نزلت هذه الآية لما قال المؤمنون: وددنا أن الله يخبرنا بأحب الأعمال إليه؛ حتى نعمله ولو ذهبت فيه أموالنا وأنفسنا، فلما فُرض الجهاد وهو أحب الأعمال إليه، تخاذل البعض ولم يخرجوا للجهاد[2]، فلابد من تحقق شرط صدق العزيمة، فالإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، أي أن يتبع القول عمل يدلل عليه، فيجب أن يتوفر التكامل ما بين المظهر والجوهر، فالجوهر هو الاعتقاد، والمظهر هو عمل الجارحة الذي يصدق ما وقر في القلب.

فقد قال القاشاني رحمه الله[3]: "من لوازم الإيمان الحقيقي الصدق وثبات العزيمة؛ إذ خلوص الفطرة عن شوائب النشأة يقتضيهما"[4].

هذه هي الشروط الثلاثة الواجب توفرها في العبادة: الإخلاص، والمتابعة، وصدق العزيمة، فيجب توفرها كاملةً؛ حتى تكون العبادة متكاملة، وبهذا أكون قد بينت شروط العبادة، التي تعتبر الدعائم الأساسية لها، فبدونها لا تقبل الأعمال؛ لأنه سبحانه لا يقبل عملاً يُشرك به غيره؛ كما ولا يقبل عملاً لم يكن وفق الهدي النبوي، ولا يكون للقول جدوى دون أن يتبعه عملاً يصدقه.

---

(1) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: حازم القاضي، ط وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط الثانية، 1422هـ، ص7.

(2) انظر: فتح القدير، محمد بن على الشوكاني، ط دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط الأولى – 1414 هـ، 262/5.

(3) القاشاني: عبد الرزاق جمال الدين بن أحمد كمال الدين ابن أبي الغنائم محمد القاشاني، صوفي مفسر، من العلماء، له كتب منها: شرح منازل السائرين،والسراج الوهاج في تفسير القرآن، توفي رحمه الله730 هـ – 1330 م.انظر الأعلام، 3/ 350.

(4) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى 1418 هـ، 215/9.

ثانياً: أركان العبادة.

العبادة ترتكز على أركان وأصول لابد من توفرها واجتماعها، ومع اجتماعها لابد من تساوي بينها فلا يطغى ركن على آخر؛ حتى يُعبد الله حقّ العبادة، وقد بين هذه الأركان كلاً من شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، فقال شيخ الإسلام: "لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له"(1)، وقال ابن القيم: "القلب في سيره إلى الله ﷻ بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف".(2)

نستنتج مما سبق، أن أركان العبادة هي: المحبة، والخوف، والرجاء، وأنه لابد من اجتماعها في نفس العبد، وهذا ما يفيده كلام ابن القيم من خلال تشبيه القلب بجسم الطائر، وفيما يلي بيان هذه الأركان:

1- المحبة:

قال الأصفهاني رحمه الله في تعريفها: "المحبَّة: ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرًا"(3)، فأي خير أفضل من محبة الخالق عز وجل، فهو المنعم على العبد المتفضل عليه، فمحبته سبحانه عز وجل خير لا يُوهب إلا لمن أحبه، فالجزاء من جنس العمل، فمن أحبه الله قذف في قلبه محبته، فهناك علامات لمحبة الله لعباده، وفي المقابل هناك علامات لمحبة العبد لخالقه، فإن تحققت وتوفرت هذه العلامات كانت المحبة صادقة، وإن انتفت كانت المحبة ادعاءً كاذباً، كادعاء اليهود والنصارى، فقد قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾[المائدة:18]، أي لو كنتم أحباب الله حقاً لما عذبكم، وإنما كان عذابكم لأنكم كفرتم به وأشركتم، فمن يدعي محبة الله لابد أن يأتي بالدليل والبرهان على محبته وهو: إتباع النبي ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[آل عمران:31]. (4)

---

(1) العبودية، ص48

(2) مدارج السالكين، 513/1.

(3) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ط دار النشر: دار السلام – القاهرة، دون رقم طبعة، 1428 هـ – 2007 م، ص156.

(4) انظر: سلسلة أعمال القلوب، 237-244.

كما وقد بين النبي ﷺ، أن السعادة والطمأنينة، وتذوق حلاوة الإيمان، إنما هي ثمار يجنيها العبد من محبة الله ورسوله، ومحبة الناس المؤمنين في الله، فعن أنس رضي الله عنه أن النّبي ﷺ قال: **(ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)** (1)

فمحبة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، دليل على قوة الإيمان، فعندما يشرع العبد بطاعة ما، فإنه بهذه المحبة يسعى إلى أن تكون متقنة كاملة، لا يشوبها نقص ولا تقصير، فيُوهب نعيماً لا يضاهيه نعيم، محبةً في السماء، وقبولاً في الأرض، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ**"(2).

2- الخوف:

قال الهروي رحمه الله(3):" الخوف هو الانخلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر "(4) ، فعلى قدر تعظيم العبد لربه، يكون خوفه وخشيته منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فإن أراد أن يعصيه، تذكر عقوبة الجبار المنتقم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فذلك يجعله يتراجع عن اقتراف الذنب فمن يخاف من أحدٍ يهرب منه، لكن الخوف والخشية من الله تجعل المؤمن يهرب إليه سبحانه، ويتقرب إليه أكثر، فزيادة الخشية تزيد التقرب منه ﷻ، ومع ذلك لايمكن أن يكون الخوف من الناس كالخوف منه ﷻ، فمن جعل مخافته من الناس كخوفه من الله عزوجل ،كان مشركاً به قال تعالى: ﴿ **وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[البقرة:81].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ح(16)/ج1/ص12.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ح(3209)/ ج4/ ص111.

(3) الهروي:عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، أبو إسماعيل: شيخ خراسان في عصره، من كبار الحنابلة، من ذرية أبي أيوب الأنصاري، كان بارعا في اللغة، حافظا للحديث، عارفا بالتأريخ والأنساب. مظهراً للسنّة داعياً إليها من كتبه ذم الكلام وأهله، والفاروق في الصفات " وكتاب " الأربعين " في التوحيد، توفي عام 481هـ. انظر: الأعلام ،122/4.

(4) منازل السائرين، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، ط دار الكتب العلمية – بيروت، دون رقم طبعة أو سنة النشر، ص26.

فهذه الآية جاءت على لسان سيدنا إبراهيم، عندما خوّفه قومه من معبوداتهم أن تمسه بسوء، لكنه عليه السلام رد عليهم: أنه لا يمكن أن يكون الخوف إلا من الله، فحقّ لهم أن يخافوا هم من الله ﷻ؛ وذلك لأنهم أشركوا به غيره في العبادة[1].

3- الرجاء:

هو: ترقب الانتفاع بما تقدم له سبب ما[2]، و قال ابن القيّم رحمه اللّه:"الرّجاء هو النّظر إلى سعة رحمة الله، و الرّجاء هو عبوديّة، وتعلّق باللّه من حيث اسمه: البرّ المحسن، وقال: لولا روح الرّجاء لما تحرّكت الجوارح بالطّاعة، ولولا ريحه الطّيّبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات"[3]، فالعبد المؤمن يرجو رحمة الله تعالى في كل وقت وفي كل حين، فيرجو مغفرة الذنوب والخطايا، فبالتالي يستغفر من ذنوبه ويتوب إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ويرجو رحمته ودخول جنته وبهذا أخبرنا النبي ﷺ عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حيث قال: " يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي"[4]، وكما أن الإنسان يرجو مغفرة الذنوب، كذلك يجتهد في الطاعات؛ راجياً الثواب والأجر العظيم من الله عزوجل، لذلك يقول الله تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف:110] وهذا هو الرجاء الذي يريده الحقّ تبارك وتعالى، لا الرجاء الذي يخلو من العمل.

لذلك قال ابن القيم رحمه الله:"والرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان، ونوع غرور مذموم، فالأولان رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه، ورجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها، فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه، والثالث: رجل متماد في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب"[5].

وبهذا أكون قد بينت أركان العبادة الواجب توفرها واجتماعها، وتساويها في قلب العبد، فتكون المحبة جالبة للرجاء، والخوف ملازم له بنفس الدرجة، لأن المحبة إن لم يتبعها خوف، تمادى العبد بطغيانه وارتكابه للمعاصي، وإن زاد الخوف تحول لقنوط فيقعد العبد عن التوبة والاجتهاد في ترك المعاصي والاستزادة من الخير، فيقول: ما دام مآلي هو العذاب، فلمّ التعب

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، 293/3.

(2) انظر: التوقيف على مهمات التعريف، ص174

(3) مدارج السالكين، 43/2.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، باب في فضل التوبة والاستغفار، ج5/ ص548/ ح3540، وقال الألباني: صحيح.

(5) مدارج السالكين، 37/2.

والاجتهاد، وإن طغى الرجاء على الخوف يكون متمنياً على الله الأماني، يطمع في الرحمة والمغفرة، وهو كسول في أداء الطاعة، متباطئ في العودة إلى الله، والتوبة من الذنوب فكلا الحالتين مذموم.

وفي مثل هذا قال الدكتور عمر الأشقر رحمه الله(1): "العبادة الحقّة هي التي يتقلب صاحبها بين حب الله، والخوف منه والتذلل له، ورجائه والطمع في رحمته"(2).

فإذا توفرت الأركان الثلاثة في قلب العبد بنفس الدرجة، سلم في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يسعد باطمئنانه، وفي الآخرة يحوز على جنانه، التي أعدها الله لكل موحدٍ محبٍ خائفٍ راجٍ رحمة ربه، وبهذا أخبرنا رب العزة حيث قال: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:97]**، والملاحظ لأركان العبادة يتضح له أنها، أعمال قلبية بحتة، فهي المحرك لعمل الجوارح،وهذا ما عبر عنه الإمام حسن البنا رحمه الله(3) فقال:" وعمل القلب مقدم على عمل الجارحة وتحقيق الكمال في كليهما مطلوب وإن اختلفت مرتبتا الطلب"(4) .

فمحبة الله هي التي تدفع بالعبد المؤمن أن يضحي بروحه وماله؛ من أجل رضاه عز وجل، وكذلك الخوف منه هو الذي يدفعه لكي يجاهد نفسه ويبتعد عن محارم الله، والرجاء هو الذي يدفعه للقيام بالأعمال الصالحة، التي يرجو بها الرضوان ودخول الجنان، فهذا يدل على أن صلاح

---

(1) الدكتور عمر الأشقر: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، ولد عام 1940م في مدينة نابلس بفلسطين، أكمل دراسته الثانوية، والجامعية، والدراسات العليا في المملكة العربية السعودية، ومن ثم عمل بجامعات الكويت، ثم رجع للأردن، وعمل عميداً لكلية الشريعة بجامعة الزرقاء، ثم تفرغ للبحث والكتابة، وأصدر عدداً جيداً من الكتب والأبحاث، ومن هذه المؤلفات: سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة، توفي رحمه الله في الأردن، يوم الجمعة 10 أغسطس 2012م، الموافق 22 رمضان في العشر الأواخر لعام 1433 هـ، بعد معاناة مع المرض عن عمر يناهز 72 عام،انظر: موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، http://ar.wikipedia.org بتاريخ 2013/12/25م.

(2) العقيدة في الله، د. عمر سليمان الأشقر، ط دار النفائس– الأردن، الطبعة الخامسة عشرة 1423هـ–2004م.

(3) الشيخ حسن البنا: حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا، ولد في المحمودية قرب الإسكندرية يوم14 أكتوبر 1906، أسس جمعية الإخوان المسلمين بمصر، وتخرج بمدرسة دار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم، له مؤلفات عديدة منها الرسائل،والسلام في الإسلام، واغتيل برصاصات غادرة ليلاً، وبقي ينزف لمدة أربع ساعات، حتى استشهد وكان ذلك يوم 12 فبراير 1949م. انظر: الأعلام ،183/1.

(4) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، رسالة التعاليم، ط دار الطباعة والنشر الإسلامية– القاهرة، دون رقم طبعة،1412هـ – 1992م، ص358.

القلب يثمر صلاح الجوارح، بهذا أخبرنا النبي ﷺ:" **أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ**"(1).

المطلب الثالث: أنواع العبادة.

أولاً: أنواع العبادة.

تتنوع العبادة في ديننا الإسلامي الحنيف؛ وهذا التنوع يدل على حكمة الخالق عزوجل؛ فقد جعلها شاملة متوازنة متكاملة، تشمل الروح والبدن، متوازنة لا يطغى جانب على آخر، متكاملة يكمل بعضها البعض؛ فهذا التنوع يزيد من نشاط العبد فلا يشعره بالملل، فهذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على علم الله بعباده وما ينفعهم، قال تعالى ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[الملك:14].

وأنواع العبادة كثيرة، وقد قسم العلماء تلك الأنواع من العبادات التي لا يجوز أن يقصد بها غير الله إلى:

عبادات اعتقادية: وهذه أساس العبادات كلها وهي: أن يعتقد العبد أن الله هو الرب الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر، وبيده النفع والضر، الذي لا شريك له، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأنه لا معبود بحق غيره.

عبادات قولية: كالنطق بكلمة التوحيد، إذ لا يكفي اعتقاد معناها بل لابد من النطق بها، وتسبيح الله، وتمجيده، وتلاوة القرآن.

عبادات بدنية: كالصلاة والصوم، والحج.

عبادات مالية : كالزكاة وأنواع الصدقات والكفارات، والأضحية والنفقة(2).

وهناك **عبادات قلبية** ذكرها الدكتور عمر الأشقر، لم أذكرها، لأنه سيأتي بيانها، مع بيان العبادات التي جمعها الحافظ أحمد الحكمي في تلك الأبيات فقال:

وفي الحديث مخها الدعاء	**خوف توكل كذا الرجاء**
ورغبـــة ورهـــبـــة خشوع	**وخشيـــة إنابـــة خضـــوع**
والاستعـــــاذة والاستعانـــــة	**كذا استغاثة به سبحانه**
والذبـــح والنـــذر وغير ذلك	**فافهم هديت أوضح المسالك**

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ح(52)/ ج1/ ص20.

(2) انظر: العقيدة في الله،، ص236.

وصرف بعضها لغير الله شرك وذاك أقبح المناهي[1]

وفيما يلي تصنيف لهذه الأنواع من العبادات:

عبادات قولية وهي:

1. **الدعاء:** وحقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه جل جلاله العناية واستمداده إياه المعونة[2]، قال تعالى﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾[غافر:60]، فالدعاء هو أساس العبادة، كما أخبرنا بذلك النبي ﷺ حيث قال: "الدعاء هو العبادة"[3]، ففي الدعاء استشعار بضعف العبد وقوة المعبود جلّ جلاله، فيطلب الضعيف من القوي، والفقير من الغني، والذليل من العزيز، عزّ شأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا تنبغي هذه العبادة" الدعاء" إلا لله عزوجل، فعلى كل مسلم موحد أن يطرق الباب الذي لا يُسد في وجه سائل فقد قال النبي ﷺ : " **إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**"[4]

فالدعاء عبادة لا تنبغي إلا لله عزوجل، وفي مثل ذلك قال حمزة، من بعض ولد ابن مسعود:" طوبى لمن أخلص عبادته ودعاءه لله ولم يشغل قلبه ما تراه عيناه، ولم ينسه ذكره ما تسمع أذناه، ولم يحزن نفسه ما أعطي غيره"[5].

2. **الاستعاذة:** وهي اللجوء إلى الله والاعتصام به من شر كل ذي شر[6]، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[غافر:60]، وقد كان النبي ﷺ يتعوذ منه، وحثنا على التعوذ دائماً، ووصف لنا الدواء الشافي حيث قال:" **مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ** "[7]، فهذه العبادة " الاستعاذة" لا تنبغي إلا لله ﷻ، فعلى الإنسان أن يعتصم بالله في كل وقت وفي كل حين، لأن الإنسان يجب عليه أن يعي تماماً، أنه مُعرض للأذى سواء

(1) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، 442/2.
(2) انظر: مفاتيح الغيب، 262/5.
(3) أخرجه الترمذي في سننه، ج5/ص211/ح2969. قال الألباني رحمه الله: صحيح.
(4) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، ج5/ص456/ح 3373، وقال الألباني: حسن.
(5) الإخلاص والنية، ابن أبي الدنيا، تحقيق: إياد خالد الطباع، ط دار البشائر، ط الأولى، 1413 هـ، ص36.
(6) التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: بشير محمد عيون، ط مكتبة المؤيد، المملكة العربية السعودية، ومكتبة دار البيان، سوريا، ط الأولى، 1411هـ/1990م، ص82.
(7) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، ح (2708)/ ج4/ ص 2080.

كان هذا الأذى من الإنس، أو من الجن، أو من بعض المخلوقات الضارة، مثل الزواحف الخطيرة، والوحوش الكاسرة، فإذا تعوذ الإنسان إن نزل منزلاً، لم يضره شيء كما أخبرنا بذلك سيدنا محمد ﷺ، بل أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يرقى أبناءه بتلك الرقية، وبذلك أخبرنا النبي ﷺ، فعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ يَقُولُ: **(أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ"، وَيَقُولُ: "هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُعَوِّذُ إِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ)** (1)

3. **الاستعانة:** "وهي طلب العون من الله ﷻ"(2)، قال الله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة: 5]، قال قتادة رضي الله عنه: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** } " يأمركم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوه على أمركم"(3)، وقال عن نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾[يوسف: 18]، وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿ **قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾[الأنبياء:112]، فهذه وصية الأنبياء بالاستعانة بالله ﷻ، كما وقد أوصى النّبي ﷺ صحابته بالاستعانة بالله حيث قال لابن عباس رضي الله عنهما:" **يَاغُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**"(4)

عبادات فعلية وهي:

1. **النذر:** فمن أنواع العبادات، النذر: "وهو إيجاب عين الفعل المباح على نفسه؛ تعظيمًا لله بالنذر"(5)، وقال تعالى: ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا** ﴾[الإنسان: 7]، قال قتادة رضي الله عنه: "الأبرار الذين يؤدون حق الله ويوفون بالنذر"(6)

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية من العين، ح(2060)/ ج4/ص395 ، وقال الألباني: صحيح.

(2) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، 452/2.

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 135/1.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب، ج4/ص248/ح2516 وقال:"هذا حديث حسن صحيح".

(5) التعريفات، ص240.

(6) فتح القدير، 417/5.

ومن شروط النذر:

أ. **أن يكون طاعة لله تعالى:** لقولهﷺ:" **مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ**"(1)

ب. **وأن يكون مما يطيقه العبد:**ومثال ذلك: عن أنس ﷺ، أن النبي ﷺ رأى شيخاً يهادى بين ابنيه، **قَالَ:** "**مَا بَالُ هَذَا؟**"، **قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ، قَالَ:** "**إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ**"، **وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ**(2)، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أرحم من العبد بنفسه، فتكليف النفس ما لا تطيق نوع من الغلو في الدين، الذي لا يرتضيه الله ﷻ.

ج. **أن يكون فيما يملك:** لقولهﷺ:" **لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ، وَلاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ الْعَبْدُ**"(3).

د. **ألا يعتقد الناذر تأثير النذر في حصول الشيء وعدمه:** لنهيه ﷺ عن النذر وقوله:" **إِنَّهُ لاَ يَرُدُّ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**"(4).

2. **الذبح:** وهو كل ما ذُبح هدياً، أو أضحية، أو عقيقة وغيرها، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ***﴾ [الكوثر:1،2]، أي أخلص له صلاتك وذبحك(5)، وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: حدثني رسولﷺ، بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ: قَالَ : **لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ**"(6)، **فالذبح عبادة لا تنبغي لغير الله، فإن ذُبح لغيره فقد أشرك الفاعل بالله، والشرك من أكبر ، التي لا يغفره الله سبحانه وتعالى.**

عبادات قلبية وهي:

أ. الرغبة، والرهبة، والخشوع، والخضوع:

ومن أنواع العبادة **الرغبة** فيما عند الله ﷻ من الثواب: وهي راجعة إلى الرجاء، **والرهبة** مما عند الله من العقاب وهي راجعة إلى معنى الخوف، **الخشوع والخضوع:** هو التذلل لله ﷻ،

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة، ح (6696)/ ج8/ص142.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب جزاء الصيد، باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة، ح(1865)/ج3/ص19.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد، ح(4255)/ج5/ص78.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب إلقاء النذر العبد إلى القدر، ح(6608)/ج8/ص124.

(5) انظر تفسير ابن كثير، 503/8.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأضاحي، باب لعن الله من ذبح لغير الله، ح(5166)/ ج6/ص84.

والانقياد للحق[1].

قال تعالى في آل زكريا عليهم السلام: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ [الأنبياء:90]، قال ابن كثير رحمه الله[2]:"أي يفزعون إلينا فيدعوننا في حال الرخاء وحال الشدة، وقيل: المعنى يدعون وقت تعبدهم وهم بحال رغبة ورجاء ورهبة وخوف، لأن الرغبة والرهبة متلازمان"[3]، ووردت الرغبة والرهبة في حديث النبي ﷺ في حديث الدعاء عند النوم قالﷺ:"**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ**"[4].

وكذلك ورد لفظ الخشوع في دعاء النبيﷺ في قوله في دعاء الركوع:" **اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي**"[5].

ب. الخشية:

المقصود بها كما قال الأصفهاني:" خوف يشوبه تعظيم"[6]. فالعلماء أشد خشية لله؛ وذلك لأنهم الأكثر معرفة به، فقد قال الحقّ تبارك وتعالى:﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[فاطر:28] .

فعلى قدر المعرفة بالله ﷻ، يخافه عباده العلماء، أي على قدر التعظيم، وعلى قدر العلم بأسمائه وصفاته، والإيمان بهما يكون الخوف والوجل منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

---

(1) انظر: معارج القبول، 448/2، وانظر التعريفات، 98.

(2) ابن كثير: هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة 706 هـ ورحل في طلب العلم، تناقل الناس تصانيفه في حياته، ومن مؤلفاته: شرح صحيح البخاري، والبداية والنهاية، تفسير القرآن العظيم، وغيرها الكثير، وتوفي بدمشق 774 هـ- 1373م. انظر: الأعلام، ص320.

(3) تفسير ابن كثير، 336/11.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على وضوء، ح(247)/ج1/ص58.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الذكر والدعاء في صلاة الليل، ح(1762)/ ج2/ص185.

(6) المفردات في غريب القرآن: ص283.

ومن المكرمات التي يحوز عليها، من يخشى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، عدم دخول النار، وهذا ما أخبرنا به سيدنا محمد ﷺ حيث قال:" **لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ**"(1).

وقوله ﷺ للمتشددين والمتنطعين في الدين :"**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**"(2)، أي أنه ليس من هديهﷺ، التشدد والتنطع، فالخشية لا تعنى حرمان النفس من المباحات، التي أباحها الله لعباده، بل أن الخشية هي خوف من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، في الحصول على تلك المباحات، وذلك بتحري الحلال في كل أمر يفعله العبد؛ حتى يكون مقتدياً بالنبيﷺ، ومقتفياً أثره.

ج. الإنابة والخضوع.

وهي إخراج القلب من ظلمات الشبهات، وقيل: هي الرجوع من الغفلة إلى الذكر، ومن الوحشة إلى الأنس(3)، ولا يكون الأنس إلا بالرجوع إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فبقربه يسعد العبد، ويشعر بالأمان والاطمئنان، فهو الملاذ لكل مذنبٍ مقصرٍ تاب ورجع إليه، بعد حياة التيه والغفلة.

قال تعالى﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ**﴾ **[الزمر: 54]**، أي:**ارجعوا إليه بفعل الطاعات واجتناب المعاصي**(4)، وقال تعالى في ذكر شعيب: ﴿ **وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ **[**هود: **88]**، وقد بيّن لنا ابن القيم رحمه الله أن الإنابة نوعان وهما:

- **إنابة لربوبيته:**" وهي إنابة المخلوقات كلها، يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ**﴾ [الروم: 33]، فهذا عام في حق كل داع أصابه ضر، كما هو الواقع، وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام، بل تجامع الشرك والكفر.
- **إنابة أوليائه:**" وهي إنابة لإلهيته، إنابة عبودية ومحبة.

وهي تتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، فلا يستحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع، وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك".(5)

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله، ح (1633)/ ج3/ص323، وقال حديث حسن صحيح.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ح(5063)/ ج7/ص2.

(3) انظر: التعريفات، ص37.

(4) انظر: فتح القدير، 539/4.

(5) مدارج السالكين، 433/1.

د. التوكل:

"هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس"[1]، "والتوكل عبادة ويجب صرفها لله تعالى؛ حتى يتم توحيد العبد؛ ويخلو من شوائب الشرك وأدران الجاهلية، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يأمرنا بالتوكل عليه وحده لا غيره"[2].

قال تعالى: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ**﴾ [الفرقان: 58]، "أي: في أمورك كلها كن متوكلاً على الله الحي الذي لا يموت أبداً"[3].

وقال رسول الله ﷺ : " **لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**"[4]، والتوكل الحقيقي، هو اتخاذ الأسباب، وتفويض النتيجة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مع عدم الارتكان للأسباب وحدها، والرضا بالنتيجة المترتبة، دون ضجر أو تذمر، فما دام العبد اتخذ الأسباب واجتهد، فمُنح مع ذلك نتيجة غير مرضية بالنسبة له، فلا يسخط، وليقل قدر الله وما شاء فعل، وهذا ما يريده الله من عباده في كل وقت وفي كل حين.

---

(1) التعريفات، ص70

(2) سلسلة أركان الإيمان، د. علي الصلابي، ط دار التوزيع والنشر – القاهرة، ط الأولى 1434هـ – 2013م، ص 94.

(3) تفسير ابن كثير،118/6.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، ح(2344)/ج4/ص573 ، وقال الألباني: صحيح.

المبحث الثاني
العهد والوعد بين العبد وربه

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: التعريف بالعهد والوعد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الميثاق المأخوذ على بني آدم وشرط القيام به.

المطلب الثالث: لجوء العبد وتحصنه بالله من الشرور.

المبحث الثاني
العهد والوعد بين العبد وربه

المطلب الأول: التعريف بالعهد والوعد لغة واصطلاحاً.

أولاً: العهد لغة واصطلاحاً .

1. العهد لغة:

العهد: هو التقدم إلى المرء في الشيء يعني الوصية والأمر قال تعالى﴿ **وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[الأنعام:152] أي وصاياه وتكاليفه، والأمان، والميثاق الذي يكتب للولاة واليمين التي تستوثق بها ممن عاهدك تقول: علي عهد الله لأفعلن كذا، والزمان يقال كان ذلك على عهد فلان، والجمع عهود، وقد عهد إليه عهداً، والعهد: الموثق واليمين يحلف بها الرجل، العهد كل ما عوهد الله عليه، قال تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا** ﴾[الإسراء:34]، وسميت العهد بذلك؛ لأنها مما ينبغي الاحتفاظ به(1).

2. العهد اصطلاحاً:

من خلال التعريف اللغوي للعهد، تبين لنا أنه يطلق على عدة معاني، منها الوصية، والميثاق، والأمان، واليمين، والأمر، والعلم، والزمان، لكن ما نريده من التعريفات هو الميثاق، فقد أراد النبي ﷺ بلفظ:" وأنا على عهدك" في حديث "سيد الاستغفار": هو العهد الذي أخذه العبد على نفسه، بالإقرار بوحدانية الله عزوجل، وسنفصل الحديث عن هذا الأمر بعد ذلك عند الحديث عن الميثاق الذي أخذه العبد على نفسه.

فالتعريف الاصطلاحي للعهد كما قال الجرجاني في التعريفات:" هو حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال ،هذا أصله، ثم استعمل في الموثق الذي يلزم مراعاته، وهو المراد"(2).

وجاء العهد في القرآن الكريم بمعنى العقد، قال الله سبحانه وتعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** ﴾[المائدة:1]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير هذه الآية: "أوفوا بالعقود":أي أوفوا بالعهود، وعهود الله: هي ما أحلَّ لكم وحرم عليكم، وألزمكم فرضه، وبيَّن لكم حدوده(3).

---

(1) انظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط الخامسة 1420هـ / 1999م، ص220، وانظر لسان العرب،311/3، وانظر معجم مقاييس اللغة،167/4.

(2) التعريفات، الجرجاني، ص257.

(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، 454/9.

وقال الزجاج: "كل ما أمر الله به ونهى عنه؛ فهو من العهد"(1).

ثانياً: الوعد لغة واصطلاحاً.

1. الوعد لغة:

الواو والعين والدال: كلمة صحيحة تدل على ترجية بقول، يقال: وعدته أعده وعداً، ويكون ذلك بخير أو شر والمواعدة من الميعاد(2)، ولكن الوعد يكون في الخير، وفي الشر: الإيعاد والوعيد، وقد أَوْعَدَهُ يُوعِدُهُ، ومنه قوله تعالى على لسان إبليس لعنه الله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ**﴾[إبراهيم:22] (3).

وقد وردت كلمة الوعد ومشتقاتها في القرآن الكريم اثنا وأربعون مرة، ويراد بالوعد بها إما خيراً، أو شراً وهو وعيداً بعذاب، والوعيد يكون من الله ﷻ لكل عاصٍ و كافرٍ ومشركٍ.

2. الوعد اصطلاحاً:

هو احتفاظ العبد بالعهد الذي بينه وبين خالقه عزوجل، بإقامة شرعه، وذلك بفعل ما أمره به من أحكام، واجتناب ما نهى عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مع اعترافه بعبوديته لله وربوبيته ﷻ.

وفي مثل ذلك قال الشيخ العلامة محمد السفارينى مبيناً معنى "وأنا على وعدك": أي مقيم لا أحول ولا أزول، أفعل المأمور، وأجتنب المحظور، والله ولى الأمور"(4).

المطلب الثاني: الميثاق المأخوذ على بني آدم وشرط القيام به.

أولاً: الميثاق المأخوذ على بني آدم.

إن الله سبحانه أخذ عهداً على عباده منذ خلق أبيهم آدم عليه السلام، وأقرهم بربوبيته، وشهدوا وأقروا، فكان هذا الميثاق من ضمن الحجج، التي يقيمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عباده يوم

---

(1) الفروع في الفقه الحنبلي، محمد بن مفلح، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط الأولى 1424 هـ – 2003م، 94/11.

(2) انظر: معجم مقاييس اللغة 125/6، وانظر مختار الصحاح، ص 342.

(3) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط المكتبة العلمية – بيروت، دون رقم طبعة 1399هـ – 1979م،206/5، وانظر: المفردات في غريب القرآن، ص875.

(4) نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار، ص305.

القيامة، ولكن من قمة عدله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، أنه لم يكتف بهذا الميثاق لحساب عباده، بل أرسل الرسل لهداية الناس، وبيان شريعته لهم، وحتى لا يكون للناس حجة على الله حيث قال تعالى: ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا** ﴾[الإسراء:15].

وقد ذكر الله ﷻ ذلك الميثاق في كتابه العزيز، في هذه الآية التي أطلق عليها المفسرون آية الميثاق، قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** ﴾[الأعراف:172] .

يخبر سبحانه أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو، وهذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي الإقرار له بالربوبية(1).

وفي مثل ذلك قال النبي ﷺ:"**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**"(2).

ويقول القرطبي رحمه الله في تفسيره لآية الميثاق:" (وإذ أخذ ربك) أي: واذكر لهم يا محمد مع ما سبق من تذكير المواثيق في كتابهم ما أخذت من المواثيق من العباد يوم الذر.

وقال: وهذه الآية مشكلة، وقد تكلم العلماء في تأويلها، فنذكر ما ذكروه من ذلك، حسب ما وقفنا عليه، فقال قوم: معنى الآية: أن الله أخرج من ظهر بني آدم بعضهم من بعض، [قالوا] ومعنى ﴿ **وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ** ﴾[الأعراف: 172]، دلهم على توحيده، لأن كل بالغ يعلم ضرورة أن له رباً واحداً، ﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** ﴾ [الأعراف: 172] أي: قال، فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم، كما قال تعالى في السماوات والأرض: ﴿ **قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾ [فصلت: 11]، وقيل: إنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وإنه جعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها، قال أبي بن كعب: وأشهد عليهم السماوات السبع، فليس من أحد يولد إلى يوم القيامة إلا وقد أخذ عليه العهد(3).

والراجح من الرأيين هو أنه أخرجه الأرواح قبل خلق الأجساد، وهذا ما أميل إليه والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير، 500/3.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، ح(1358)/ج2/ ص94.

(3) الجامع لأحكام القرآن/316.

وهناك أحاديث وردت عن النبي ﷺ، بما يدلل على أن الله أشهد خلقه على ربوبيته، حيث قال: "**يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: نَعَمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ، قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ فِي ظَهْرِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي شَيْئًا**"(1)

فيجب الإيمان بهذا الميثاق، فلا يحل لأحد أن ينكره، فمن أنكره وجحده كان مآله نار جهنم؛ لأن من شهد وأقر بربوبية خالقه في الأزل، لا يجوز له بحال من الأحوال أن يخون العهد ويتنصل منه، فكل العالمين يقرون في أنفسهم بذلك؛ ومما يدلل على ذلك أن الكافر الجاحد إن وقع في مصيبة فإنه يلجأ لخالقه، وبهذا أخبرنا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بذلك في كتابه العزيز حيث قال سبحانه: ﴿ **وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ** ﴾ [لقمان: 32].

حتى فرعون عليه من الله الغضب أقر بذلك عندما أوشك على الغرق حيث قال تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[يونس: 91]، فقد نطقت الفطرة المخبوءة، بالحق الكامن في داخل هذا الطاغية المتجبر، الذي ادعى الربوبية من دون الله ﷻ، لكن هذا الإيمان لم ينفعه؛ لأنه أقر به بعد فوات الأوان، فلم يقبله الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فهذا أعظم دليل على أن كل نفس كافر، تقر بما أقر به هذا الطاغية، ولكن الذي يمنع كل كافر بأن يقر بذلك؛ إما الحسد كاليهود قال تعالى عنهم: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** ﴾[البقرة:109]، أو الجحود والعناد وهذا حال كل كافر، قال تعالى: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾[النمل:14]، فالآية تدل على أن هؤلاء الكفار(وهم فرعون وملئه) يؤمنون بيقين في داخلهم أن الله ربهم، لكن المانع من الإقرار علانية هو الظلم والعلو والاستكبار في الأرض.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ح(3334)/ ج4/ ص133.

ثانياً: شرط القيام بالميثاق المأخوذ على بني آدم:

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الخلق وعلم أنهم لا يمكن أن يصلوا لدرجة الكمال في أدائهم لواجبات؛ لذا شرط القيام بالطاعة هو الاستطاعة، أما لا يطيقه العبد فهو غير مؤاخذ عليه، ولقد لخص لنا ربنا عز وجل ذلك في قوله: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[البقرة: 286]

فالتكليف هو:" الإلزام مما فيه كلفة ومشقة تحتمل، ولكن الله لا يكلف النفس إلا ما تتسع لها طاقتها ويكون في قدرتها"(1). فالله سبحانه وتعالى عالم في الأزل أن عباده مختلفون ومتفاوتون في طاقاتهم؛ لذا يحاسب كل عبد على هذه القدرة التي كانت بحوزته، وهذا من عدل الله سبحانه وتعالى مع عباده.

قال شارح الطحاوية :"و للعبد قدرة هي مناط الأمر والنهي ، وهذه قد تكون قبله ، لا يجب أن تكون معه ، والقدرة التي بها الفعل لا بد أن تكون مع الفعل ، لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة، وأما القدرة التي من جهة الصحة والوسع ، والتمكن وسلامة الآلات – فقد تتقدم الأفعال، وهذه القدرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** ﴾ [آل عمران : 97] فأوجب الحج على المستطيع ، فلو لم يستطع إلا من حج لم يكن الحج قد وجب إلا على من حج ، ولم يعاقب أحد على ترك الحج ! وهذا خلاف المعلوم بالضرورة من دين الإسلام، وكذلك قوله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُم**﴾ [التغابن : 16] . فأوجب التقوى بحسب الاستطاعة ، فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى ، لم يكن قد أوجب التقوى إلا على من اتقى ، ولم يعاقب من لم يتق ! وهذا معلوم الفساد، وكذا قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا**﴾ [المجادلة : 4] . والمراد منه استطاعة الأسباب والآلات، ومن ذلك قوله ﷺ لعمران بن حصين: **(صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ)** (2) وإنما نفى استطاعة الفعل معها" (3)

(1) أيسر التفاسير: 279/1

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعدا صلى على جنب، ح(1117)/ج2/ص48.

(3) شرح العقيدة الطحاوية،633/2-634.

المطلب الثالث: لجوء العبد وتحصنه بالله من الشرور:

حديثنا موضوع البحث سيد الاستغفار فيه ما يدل على ذلك فقوله: **(أعوذ بك من شر ما صنعت)**، يدل على الاستعاذة من شر الذنوب والمعاصي، فالعبد المؤمن ينسب ما يصيبه من شر لنفسه لأنها قصرت وابتعدت عن المنهج الصحيح، حيث أن الله سبحانه يعاقب العبد في الدنيا على ما يقترفه من ذنوب ومعاصي، وهناك الكثير من العقوبات التي تلحق بالعبد المذنب المقصر.

ويخبرنا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن الإنسان الفائز هو من وُقي من شر أعماله حيث قال: ﴿ **وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[غافر:9].

" أي من تحفظه بمقتضى لطفك وتوفيقك عن المعاصي في النشأة الأولى، فقد رحمته البتة في النشأة الأخرى، وذلك بوقايتك وحفظك إياه عن أسباب الخذلان والحرمان وذلك هو الفوز العظيم والكرم العميم واللطف الجسيم"(1).

ولقد كان النبي ﷺ يستعيذ من شرور الأعمال وسيئات الأنفس في خطبته بقوله: «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا»، وسيئات الأعمال من شرور النفس، فعاد الشر كله إلى شر النفس، فإن سيئات الأعمال من فروعه وثمراته"(2).

ولقد ذكر لنا ابن القيم رحمه الله ما يربو على العشرين عقوبة للمعاصي، وفيما يلي بيان بعض منها، مع تقسيمها لآثار تعود على الفرد، وأخرى تصيب المجتمع، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: آثار الذنوب على الفرد:

1- حرمان العلم :

فالعلم نور الله يقذفه في قلوب خلقه، والمعاصي تطفئ ذلك النور؛ فالنور والظلمة لا تجتمعا في قلب عبد؛ فالمتناقضان لا يمكن أن يلتقيان بحال من الأحوال، وهذا ما أرشدنا إليه الإمام الشافعي حيث قال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي — فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم فضـــل — وفضل الله لا يؤتاه عاصي(3)

---

(1) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ط دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، ط الأولى، 1419 هـ – 1999 م، 2/ 257.

(2) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، لابن القيم، ط دار المعرفة – المغرب ط الأولى، 1418هـ – 1997م، ص 115.

(3) انظر:المصدر السابق، 52.

ولما كانت المعاصي سبب لحرمان العلم، فالتقوى سببٌ للحصول عليه وهذا ما أخبرنا به ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حيث قال:﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[البقرة:282]، فحاصل التقوى العلم والإرشاد في أمر الدنيا والدين[1] .

2- تورث في القلب الضعف والمرض.

قال ابن القيم رحمه الله:"ومن عقوبتها: أنها تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة، أو تعوقه أو توقفه وتقطعه عن السير، فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة، هذا إن لم ترده عن وجهته إلى ورائه، فالذنب يحجب الواصل، ويقطع السائر، وينكس الطالب، والقلب إنما يسير إلى الله بقوته، فإذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تسيره، فإن زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعاً يبعد تداركه، والله المستعان"[2].

3- تذهب الحياء.

فالحياء شعبة من الإيمان هذه الشعبة تذهب مع اقتراف المعاصي، فلا يكاد العاصي يستقبح فعلاً يعده الشارع الحكيم من قبائح الأعمال، فتراه غير مكترث بما يفعل من المحرمات وللأسف يجهر بها على الملأ، وهذا الصنف من الناس يصدق فيهم قول النّبيﷺ:**(إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ)** [3]،أي:" إذا لم يكن عندك حياء يمنعك من فعل القبيح وقيل إذا كان ما تفعله ليس مما يستحيا منه. (فافعل ما شئت) الأمر للتهديد أي افعل ما بدا لك فإنك ستعاقب عليه"[4].

4- المعاصي تضعف في القلب تعظيم الرب.

يقول ابن القيم رحمه الله:"والمتجرئون على معاصيه ما قدروا الله حق قدره، وكيف يقدره حق قدره، أو يعظمه ويكبره، ويرجو وقاره ويجله، من يهون عليه أمره ونهيه؟ هذا من أمحل المحال، وأبين الباطل، وكفى بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله، وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقه"[5]، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بيّن لنا أن الخير عنده في تعظيم شعائره حيث قال: ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ**﴾[الحج:30].

---

(1) انظر:اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط الأولى، 1419 هـ -1998م، 506/4.

(2) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ص73.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب حديث الأنبياء، باب حديث الغار، ح(3483) /ج4/ص177.

(4) فتح الباري، ابن حجر، 6/ 523.

(5) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ص69.

فالحرمات هي: "مكة والحج والعمرة، وما نهى الله عنه من معاصيه كلها"(1).

5- المعاصي توجب القطيعة بين العبد والرب.

ومن أعظم عقوباتها: "أنها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى، وإذا وقعت القطيعة انقطعت عنه أسباب الخير واتصلت به أسباب الشر، فأي فلاح، وأي رجاء، وأي عيش لمن انقطعت عنه أسباب الخير، وقطع ما بينه وبين وليه ومولاه الذي لا غنى عنه طرفة عين، ولا بدل له منه، ولا عوض له عنه"(2).

وهذه القطيعة بين العبد ربه لها آثار سلبية على حياة العاصي منها أنها تسبب له ضنك العيش، فمهما أعطي من المال تجده ساخطاً تعيساً لا يجد للسعادة طعماً في حياته وهذا ما أخبرنا به ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حيث قال: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** ﴾[طه:124].

تفسيرالآية: **(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي)** :أي من أعرض عن الهدى الداعي إلي الله، **(فَإِنَّ لَهُ)**: أي في الدنيا، **(مَعِيشَةً ضَنْكاً)**: أي ضيقة، وهي معيشة الكافر ومعيشة المسلم البعيد عن منهج الله؛ لأننا نجد الكثير من الناس لا يحمل من الإسلام إلا اسمه، فإن هؤلاء يكن عندهم حرصاً على الدنيا للزيادة أبدا، فحالتهم مظلمة، لأن مطامح أنظارهم مقصورة على أمتعة الدنيا، وهم خائفين من انتقاصها، أما المؤمن فهو يعيش في الدنيا عيشاً طيباً لتوكّله على الله تعالى، فإن المؤمن الطالب للآخرة يوسّع له ببركة الإيمان(3) .

6- المعاصي تورث الذل:

يعاقب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ العصاة بآفة الذل ويسلب منهم العزة؛ وذلك لأنهم عصوه وابتغوا العزة في غير ما أراد منهم؛ لأن العزة فضل يكرم الله به المستجيبين لأوامره، والمنتهين عن نواهيه، حيث قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا** ﴾[فاطر:10].

---

(1) تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز ،ط الفاروق، ط الأولى، 1423هـ - 2002م، 179/3.

(2) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ص82.

(3) انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي، تحقيق: محمد أمين الصناوي، ط دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى – 1417 هـ،2/ 41

والمراد من ذلك: أن من أراد أن يعلم لمن العزّة الحقيقة فآية العزّة لله، ومن أراد أن يكون في الدراين عزيزاً فليطع الله فإنّ العزّة لله جميعاً؛ لأن الطاعة سبب للعزة وعلى العكس تماماً فإن المعصية تورث الذل والهوان[1].

7- المعاصي تفسد العقل:

قال بعض السلف: "ما عصى الله أحد حتى يغيب عقله، وهذا ظاهر، فإنه لو حضر عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضة الرب تعالى، أو تحت قهره، وهو مطلع عليه، وفي داره على بساطه وملائكته شهود عليه ناظرون إليه، وواعظ القرآن ينهاه، وواعظ الموت ينهاه، وواعظ النار ينهاه، والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها، فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله، والاستخفاف به ذو عقل سليم؟"[2].

فمدمن المعاصي كالسكران فاقد لعقله؛ لأن المعاصي أصابته بالعمى فهو لا يبصر ولا يفرق بين الضار والنافع، وهذا ما أخبرنا به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن قوم لوط عليه السلام، حيث قال تعالى: ﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾[الحجر:72]، ففي الآية قسم من الملائكة لسيدنا لوط عليه السلام مفاده: أن هؤلاء لا يمكن أن يسمعوا النصيحة؛ لشدة غوايتهم وانهماكهم في قضاء الشهوات، وعدم تميزهم بين الخطأ والصواب[3].

8- المعاصي تعمي البصيرة:

فالبصيرة نعمة من الله يهبها لعباده المتقين الذين عمّروا قلوبهم بمخافته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بينما العصاة فإن قلوبهم قد عميت من أثر ذنوبهم وهذا ما أخبرنا به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حيث قال: ﴿ **وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا** ﴾[الإسراء:72]. فالمقصود بالعمى في هذه الآية الكريمة: "عمى القلب لا عمى العين"[4].

(1) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن،أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ط 1422 هـ – 2002 م، 100/8.

(2) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ص59.

(3) انظر: التفسير المظهري، المظهري محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، ط مكتبة الرشدية الباكستان، دون رقم طبعة، دون سنة النشر، 310/5

(4) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ط1415 هـ – 1995م، 176/3.

"والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته، لمن لا يهتدى إلى طريق النجاة: أما في الدنيا فلفقد النظر، وأما في الآخرة؛ فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه"[1].

ثانياً: أثر المعاصي على المجتمع:

للمعاصي آثار وخيمة على المجتمع وفيما يلي بيان ذلك:

1- المعاصي تمحق البركة.

المعاصي تمحق البركة في الرزق، وتمحق البركة في العلم، وتمحق البركة في الوقت، حيث قال تعالى:﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[الأعراف:96]، أي: لو أن أهل القرى آمنوا بربهم لآتيناهم بالخير من كل وجه، والخير اسم جامع لكل الخيرات من ماء وزروع وثمار وغيره من النعم، لكنهم كفروا فعاقبناهم بالحرمان من تلك الخير الوفير[2].

2- المعاصي تحدث الفساد في الأرض:

إن ما يحدث في هذا الكون الفسيح من فساد إنما هو نتاج ما كسبته أيدي الناس من المعاصي والذنوب، وهذه نتيجة حتمية أخبرنا بها القرآن الكريم حيث قال تعالى:﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾[الروم:41].

ولابن القيم رأيان في تفسيره للفساد في هذه الآية وهما:

أ. "أن المراد بالفساد: هي الذنوب والمعاصي التي يرتكبها الناس، لذلك عقب تعالى بقوله ﴿ **لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا** ﴾، فتكون اللام لام التعليل والعاقبة.

ب. أن المراد بالفساد: النقص والشر والآلام التي يحدثها الله في الأرض بمعاصي العباد فكلما أحدثوا ذنبا أحدث الله لهم عقوبة"[3].

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ط دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثالثة – 1407 هـ، 683/2.

(2) انظر: الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، ط مؤسسة سجل العرب، ط 1405 هـ، 508/9.

(3) تفسير القرآن الكريم، ابن القيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف ط الأولى – 1410 هـ، ص433.

والراجح هو الرأي الثاني؛ ذلك لوضوح السبب في الفساد هو ما اقترفته أيدي الناس من معاصي، فتكون المعاصي سبب والفساد نتيجة لهذه الأسباب(المعاصي والذنوب) وهذا ما ذهب إليه كل المفسرين.

"ويشمل الفساد القحط وقلة الأمطار والريع في الزراعات، والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق، ومحق البركات من كل شيء"[1].

3- المعاصي سبب لهزيمة الأمم.

المتتبع لتاريخ الأمة الإسلامية منذ نشأتها وحتى هذه اللحظة، يجد أن هذا التاريخ مزيج من الهزائم والانتصارات، فزمن الانتصارات زمن قاده عظماء كان هدفهم من قيادتهم للبلاد هو إعلاء كلمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلم تغرهم الدنيا بزخرفها وزينتها، لكن زمن الهزيمة زمن مظلم قاده سلاطين وملوك وخلفاء قد أغرتهم الدنيا بزخرفها، فكبوا على جمع الأموال والتنازع فيما بينهم من أجل البقاء في سدة الحكم، فأصابهم الخور والفتور وتكالبت عليهم الأمم، وأصاب الأمة الوهن والضعف والجبن، فصدق فيهم قول النبيﷺ:(**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)** [2].

لقد شبه النبي ﷺ الأمة الضعيفة وكأنها طعم سائغ للأعداء فهذا دليل على وصول الأمة إلى درجة بالغة من الضعف والخور من أثر تعلقها بالدنيا وبارتكابها المعاصي، فتتناولها الأمم فيأكلونها صفواً من غير تعب، فاستغرب أحد الصحابة كيف يكون ذلك فرجح لأن تكون الأمة ضعفة لقلة عددها، لكن النبيﷺ أجابه بأن العدد كثير لكنه بلا فائدة كغثاء السيل وهو ما يحمله السيل من زبد ووسخ؛ شبههم به لقلة شجاعتهم ودناءة قدرهم، قد نزع من قلوب أعداءهم الخوف منهم، وقذف في قلوبهم الوهن، كل ذلك نتيجة حب الدنيا والتمسك بها رغم زوالها وكراهية الموت[3].

(1) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 703/3.

(2) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، ح(4297) /ج111/4.

(3) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، 273/11.

قال الطيبي رحمه الله:" سؤال عن نوع الوهن، أو كأنه أراد من أي وجه يكون ذلك الوهن (قال حب الدنيا وكراهية الموت) وهما متلازمان فكأنهما شيء واحد يدعوهم إلى إعطاء الدنية في الدين من العدو المبين ونسأل الله العافية" (1).

فكل ما هو حاصل للأمة اليوم من ضعف وتفكك ووهن، وتكالب للأمم عليها إنما هو نتيجة البعد عن منهج الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فكان نتيجة ذلك أن فرق الله شملهم وجعل قلوبهم شتى يخافون عدوهم.

4- المعاصي سبب لنزول العذاب:

لقد أخبرنا ربنا جل وعلا أنه أنزل العذاب بأمم سابقة؛ وذلك لانتشار المعاصي والموبقات بينهم، وسأذكر بعض النماذج لهذه الأمم، وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

أ- هلاك قوم لوط عليه السلام:

انتشرت فاحشة بينهم لم يسبقهم إليها أحد من العالمين قد شذت فطرتهم وخرجوا عن المألوف وهذا ما أخبرنا به ربنا بقوله: : ﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81)** ﴾[الأعراف:80-81].

فقد استغرب سيدنا لوط عليه السلام مما كان يفعله قومه من أمر عظيم الشناعة شديد العار والفحش، فدلهم على ما أباحه الله لهم، لكنهم لم يكترثوا لنصيحته، وبقوا على ماهم فيه من الضلال، فانتقم الله منهم وأنجى سيدنا لوط وأهله إلا امرأته كانت من الذين هلكوا مع من هلك، فهذا عقاب من فعل المعصية وكذلك جزاء من رضي بها وشجع عليها(2).

وهذا ما أخبرنا به سبحانه بعد هاتين الآتين فقال: ﴿ **فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (83) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (84)**) ﴾[الأعراف:83-84].

تخبرنا هاتين الآيتين عن مصير من يجهر بالمعاصي ويتعدى على الحدود، فقد عاقب الله سبحانه وتعالى قوم لوط، بحجارة من السماء فأهلكتهم وهذا هو جزاء المجرمين، والخطاب لكل من يسمع القصة أو يقرؤها من أهل النظر والاعتبار، والمراد: أن يعلم أن عاقبة القوم المجرمين لا

---

(1) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، 273/11.

(2) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ط دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دون رقم طبعة، دون سنة النشر 7/ 453.

تكون إلا وبالاً وعقاباً، فإن الأمم تعاقب على ذنوبها في الدنيا قبل الآخرة باطراد، فعقابها إما أن يكون أثراً طبيعياً للذنب كالترف والسرف في الفسق فيفسد أخلاق الأمة ويذهب ببأسها، أو يجعله بينها شديداً بتفرق كلمتها واختلاف أحزابها وتعاديهم، فيترتب على ذلك تسلط أمة أخرى عليها تستذلها بسلب استقلالها، وإما أن يكون بما يحدث بسنن الله تعالى في الأرض من الجوائح الطبيعية كالزلازل والخسف وإمطار النار والمواد المنصهرة التي تقذفها البراكين من الأرض والأوبئة، وهناك نوع ثالث للعقوبات وهو ما حدث للأمم السابقة[1]

ب- هلاك قوم نوح عليه السلام.

لقد حدثنا القرآن الكريم عن هلاك قوم نوح عليه السلام بالطوفان؛ لأنهم لم يستجيبوا لنبيهم بل عاندوه وكذبوه وسخروا منه، فأهلكهم كلهم، لكن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نجى المؤمنين من العذاب المحقق، فهذا من عدل الله مع خلقه وهو أن الظالم هالك في الدنيا والآخرة، وأما المؤمن ناجٍ من العذاب في الدنيا والآخرة؛ لذلك أمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ سيدنا نوح أن لا يحمل معه إلا من قد آمن به، حيث قال تعالى: ﴿ **فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ** ﴾[المؤمنون: 27].

"فهذا أمر من الله سبحانه وتعالى لنوح عليه السلام أن يدخل في السفينة من كل زوج، أي: ذكر وأنثى اثنين من سائر الحيوانات التي أمكنه ذلك منه وأن يركب فيها أيضاً أهله من زوجة وولد إلاّ من قضى الله بهلاكه ونهاه أن يكلمه في شأن الظالمين لأنهم مغرقون قطعاً"[2].

---

(1) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، دون رقم طبعة 1990 م، 460/8

(2) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ط مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط الخامسة، 1424هـ/2003م، 514/3.

الفصل الثالث

مشاهدة النعمة وعلاقتها بالاستغفار

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: العبد بين مشاهدة النعمة ومطالعة عيب النفس.

المبحث الثاني: الاستغفار أوقات وأحوال مستحبة.

المبحث الثالث: الجنّة ونعيمها.

المبحث الأول
العبد بين مشاهدة النعمة ومطالعة عيب النفس

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أقسام النعم .

المطلب الثاني: أركان الشكر

المطلب الثالث: أقسام الذنوب.

المبحث الأول

العبد بين مشاهدة النعمة ومطالعة عيب النفس

المطلب الأول: أقسام النعم .

لقد أنعم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على الإنسان بنعم لا تعد ولا تحصى؛ فهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خلق الإنسان من عدم، وأغدق عليه بالنعم، لذلك لابد من الإقرار والاعتراف، بأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الرازق المنعم، والذي جعلنا نتحدث عن أقسام النعم في هذا الفصل من الرسالة، قول النبي ﷺ: "**أَبُوء لَك بنعمتك**"، وكما ذكرنا معنى قوله : أبوء لك بنعمتك على": أي أعترف وأقر، بأنك يا الله المنعم المتفضل على بكافة أنواع النعم.

ويقول الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله[1] :" الأصل أن تعلم أن النعم كلها من الله وحده، نعم الطاعات ونعم اللذات، فترغب إليه أن يلهمك ذكرها ويوزعك شكرها، قال تعالى: ﴿ **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**﴾[النحل : 53]، وقال: ﴿**فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف:69]." [2]

ولقد قسم العلماء النعم لعدة أقسام كل حسب اجتهاده فمنهم من قسمها إلى قسمين، ومنهم من قسمها إلى أكثر من ذلك.

فقد جعلها ابن قيم الجوزية رحمه الله **ثلاثة أقسام،** فقال:" النعم ثَلَاثَة: نعْمَة حَاصِلَة يعلم بهَا العَبْد، ونعم منتظرة يرجوها، ونعمة وَهُوَ فِيهَا لَا يشْعر بهَا، فَإِذا أَرَادَ الله إتْمَام نعْمَته على عَبده عرّفه نعْمَته الْحَاضِرَة، وَأَعْطَاهُ من شكره قيدا بِهِ؛ حَتَّى لَا تشرد فَإِنَّهَا تشرد بالمعصية، وتقيّد بالشكر

(1) ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أَيُّوب بن سعد بن حريز الزرعي الدِّمَشْقِي شمس الدّين ابْن قيم الجوزية الْحَنْبَلِيّ ولد سنة 691، غلب عَلَيْهِ حب ابْن تَيْمِية حَتَّى كَانَ لَا يخرج عَن شئ من أَقْوَاله بل ينتصر لَهُ فِي جَمِيع ذَلِك، وَمَات فِي ثَالِث عشر شهر رَجَب سنة 751، وَكَانَت جنَازَته حافلة جدا، دفن بمقبرة الْبَاب الصَّغِير من دمشق عِنْد وَالِديهِ رحمهمَا الله. انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 140/5. والرد الوافر، محمد بن عبد الله شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين، تحقيق: زهير الشاويش، ط المكتب الإسلامي – بيروت، ط الأولى 1393، ص68.

(2) الفوائد، ابن قيم الجوزية، ط شركة القدس للتصدير، ط الأولى، دون سنة نشر، ص 229.

ورفقة لعمل يستجلب بِهِ النِّعْمَة المنتظرة، وبصَّره بالطرق الَّتِي تسدها، وتقطع طريقها، وَإِذا بهَا قد وافت إِلَيْهِ على أتم الْوُجُوه وعرّفه النعم الَّتِي هُوَ فِيهَا فَلَا يشْعر بهَا[(1)]".

أما الإمام ابن قدامة المقدسي[(2)] **فقد قسم النعم لقسمين،** فقال: " اعلم : أن النعم تنقسم إلى ما هو غاية مطلوبة لذاتها، وإلى ما هو مطلوب لأجل الغاية، أما الغاية فهي سعادة الآخرة، ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور : بقاء لا فناء له، وسرور لا غم فيه، وعلم لاجهل معه، وغنى لا فقر بعده، وهى السعادة الحقيقية. وأما القسم الثاني : فهو الوسائل إلى السعادة المذكورة، وهى أربعة أقسام: أعلاها: فضائل النفس، كالإيمان وحسن الخلق. الثاني: فضائل البدن، من القوة والصحة ونحوهما. الثالث: النعم المطيفة[(3)] للبدن، من المال والجاه والأهل. الرابع : الأسباب التي جمع بينها وبين ما يناسب الفضائل، من الهداية والإرشاد، والتسديد، والتأييد، وكل هذه نعم عظيمة"[(4)]، وأتبع الإمام المقدسي هذا التقسيم، ببيان أهمية كل نعمة على حياة الفرد، لكنه وصف نعمة الهداية والرشد والتأييد، بأنها أعظم نعمة على العبد؛ لأن الحاجة إلى التوفيق لا يمكن الاستغناء عنها.

وقد قسم الإمام الراغب الأصفهاني[(5)] **أيضا النعم إلى قسمين:**

النعم الدنيوية إما أن تكون نعمة وسعادة، وإما أن تكون نقمة وشقاوة.

فقد قسمها بهذا التقسيم بحسب استغلال العبد لها، فيقول رحمه الله:

"صار الناس في تناولها فريقين: فريق يتناوله على الوجه الذي جعله الله لهم فانتفعوا به، فصار ذلك لهم نعمة وسعادة وهم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ**

---

(1) الفوائد، ابن قيم الجوزية ، ص172-173.

(2) ابن قدامة المقدسي: هو شرف الدّين أبي بكر بن عبد الله بن شيخ الإسلام أبي عمر مُحَمَّد بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن قدامَة الْمَقْدِسِي الصَّالِحِي الْحَنْبَلِيّ قَاضِي الْجَبَل وَابْن قاضيه مولده فِي تَاسِع شعْبَان سنة ثَلَاث وَتِسْعين وسِتمِائَة وَتُوفِّي رَحمَه الله تَعَالَى ثَالِث عشر رَجَب سنة إحدى وَسبعين وَسَبْعمائة الرد الوافر، 77/1.

(3) المُطيفة : المحيطة

(4) انظر: مختصر منهاج القاصدين، للإمام أحمد بن محمد بن محمد بن قدامة المقدسي، تحقيق:سعد العارف، ط دار إحياء العلوم- بيروت، ط الثانية 1418هـ - 1997، 334-335.

(5) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، توفي عام502هـ/ 1108م، من كتبه (محاضرات الأدباء - ط) مجلدان، و(الذريعة إلى مكارم الشريعة و(الأخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) الأعلام، للزر كلي، 255/2.

وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[الحج:41]، وقوله ﷻ: ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ** ﴾[النحل : 30]" (1).

يمكن القول بعد هذا التقسيم، بأن أعظم نعمة على العبد:هي نعمة الإسلام؛ لأنها الموصلة للسعادة الأبدية، فهي الفيصل في قبول عمل العبد أو عدمه، لأن الإنسان لو كان كافراً، أو مشركاً، فلن يقبل عمله، حتى لو أنفق جل ماله في عمل الخير، واستغرق جميع أوقاته في خدمة البشرية؛ والدليل على ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾[آل عمران:19].

المطلب الثاني: أركان الشكر .

أولا: أركان الشكر:

قبل الحديث عن أركان الشكر لابد من بيان المقصود بالشكر .

معنى الشكر :

أ- الشكر لغة:

"الشُّكْرُ: بالضم: عِرْفانُ الإِحْسان ونَشْرُه، والشكر هو الثناء الجميل"(2) ، "وهو الوصف بالجميل على جهة التعظيم على النعمة من اللسان والجنان والأركان"(3) .

ب-تعريف الشكر اصطلاحاً:

هو:"تصور النعمة وإظهارها، الامتلاء من ذكر المنعم سبحانه وتعالى، والشكر شكران: شكر باللسان وهو الثناء على المنعم، وشكر بجميع الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر الاستحقاق"(4) .

---

(1) انظر: تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، للإمام الراغب الأصفهاني، ط دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، ط 1983 م، ص 65.

(2) القاموس المحيط، ص419.

(3) التوقيف على مهمات التعاريف، ص206.

(4) المصدر السابق، ص206.

يتضح لنا من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي أن الشكر يعني: الاعتراف والإقرار، بأن كل نعمة مقدمة إلى الخلق، مصدرها الخالقﷻ، لذا لا يكون الإنسان شاكرا لربه؛ إلا إذا كان مقراً بقلبه، ومعترفاً بلسانه، ومظهراً ذلك في تصرفاته، وعبادته لله ﷻ.

أركان الشكر:

اختلف العلماء في عدد أركان الشكر، فمنهم من جعلها ثلاثة أركان، ومنهم من جعلها أكثر من ذلك؛ فقد جعلها الإمام ابن القيم خمسة أركان، فقال:" الشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور وحبه له واعترافه بنعمته وثناؤه عليه بها وأن لا يستعملها فيما يكره فهذه الخمس: هي أساس الشكر وبناؤه عليها فمتى عدم منها واحدة: اختل من قواعد الشكر قاعدة وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجع وعليها يدور[1].

أما من جعل الأركان ثلاثة فقال: شكر العبد يدور على ثلاثة أركان لايكون شكراً إلا بمجموعهما وهى: وهى: الاعتراف بالنعمة باطناً، والتحدث بها ظاهراً، والاستعانة بها على طاعة الله، فالشكر يتعلق بالقلب واللسان، والجوارح؛ لاستعمالها فى طاعة المشكور وكفها عن معاصيه وقد قرن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الشكر بالإيمان.

وفيما يلي بيان لتلك الأركان:

الركن الأول: خضوع العبد لخالقه.

لا يتحقق الشكر من الشاكر للمشكور إلا بالخضوع والاستكانة؛ فتتأثر الجوارح لتدلل على أن باطنها مستكين مُعترف بأن ربها هو الذي أكرمها ومدها بالنعيم، فالعين تسكن وتخضع فلا تنظر إلى من هو أحسن منها في الرزق؛ لأن مقسم رزقها هو الله، وتخضع اليد وتستكين وتعطي بلا مقابل أو خوف من فقر؛ لأن الذي خلقها هو الذي قسم رزقها، وهكذا تسكن النفس بسكون جوارحها، لأن ملكها والمسيطر عليها ساكن وخاضع لخالقه ألا وهو القلب.

الركن الثاني: حب العبد لربه عز وجل.

النفس البشرية مجبولة على المحبة إلى من أحسن إليها، ولا أحد أعظم إحساناً على أحد من الله سبحانه وتعالى، فإن إحسانه على عبده في كل نَفَسٍ ولحظة والعبد يتقلب في نعم الربّ دائماً في كل الأحوال، ويكفي أن بعض أنواع نعمة النفس لا تخطر على بال الإنسان، ولكن من يفقدها هو الذي يشعر بقيمتها، فلو نظر العبد وتأمل مثلاً في نعمة الكلية في جسم الإنسان ومدى أهميتها في حياته؛ في أنها تنقي الجسم من المواد الضارة به، فلو تعطل ذلك العضو من أعضاء جسم

(1) أنظر: مدارج السالكين، 235/2 .

الإنسان، لأصبح رهين المشافي يتنقل بينها ويمكث الساعات الطوال كي يعوض ما عطل من عمل ذلك الجهاز في جسمه، ولأصبح منهكاً من تغيير دمه.

فإن عدد الإنسان نعم الله عليه لعجز أن يحصيها حيث قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[النحل:18]

الركن الثالث: اعتراف العبد بنعمة الله عليه.

يعتبر الاعتراف بنعمة الله ركن أساس من أركان الشكر؛ لأنه لا يمكن أن يعد الشكر شكراً حقاً إلا باعتراف العبد بأن خالقه هو المتفضل عليه بالنعم، فصاحب النفس المُقرة بنعم الله عليها، تجده متواضعاً دمث الأخلاق حسن السجايا؛ لأنه تيقن أن ما به من نعمة ليست بحذاقته ولا بذكائه، وإنما هي تفضل من الخالق عليه، فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾[النحل:53]، وكذلك من مقتضيات الاعتراف بنعمة الله على العبد أن يتحدث بها ظاهراً لذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾[النحل:53]، "فالتحدث بنعمة الله– وبخاصة نعمة الهدى والإيمان– فهو صورة من صور الشكر للمنعم؛ يكملها البر بعباده، وهو المظهر العملي للشكر، والحديث الصامت النافع الكريم"[(1)] .

الركن الرابع: ثناء العبد على خالقه.

من كمال الشكر الثناء على الخالق عزوجل؛ وذلك بذكر إحسانه دائماً، وأن تظهر أثر نعمة الله على العبد، فقد أخبرنا النبي ﷺ أن من شكر النعمة أن يُرى أثر النعمة على العبد، وهذا الحديث الشريف يبين لنا ذلك ، **فعَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ نَضْلَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:(أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا قَشِفُ**[(2)] **الْهَيْئَةِ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ؟ » فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «مِنْ أَيِّ مَالٍ؟ » قُلْتُ: مِنْ كُلٍّ قَدْ آتَانِيَ اللَّهُ مِنَ الْإِبِلِ وَالرَّقِيقِ وَالْغَنَمِ، قَالَ: «إِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيُرَ عَلَيْكَ»**[(3)].

الركن الخامس: استعمال النعم فيما أحلّ الله سبحانه وتعالى.

استعمال النعم فيما أحلَ الله سبحانه هو ركن من أركان الشكر؛ وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في كتابه العزيز حيث قال: ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾[سبأ:13]، والمقصود

---

(1) في ظلال القرآن، 3928/6

(2) قشف الهيئة: القشف رثاثة الهيئة وسوء الحال وضيق العيش، انظر لسان العرب،282/9.

(3) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب اللباس وآدابه، باب ذكر الأمر للمرء إذا أنعم الله عليه أن يرى أثر نعمته عليه، ح(5416)/ج12/ص 234، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

بالأية:"أي يا آل داود اشكروا ربكم على هذه النعم الجليلة، فقد خصكم بالفضل العظيم والجاه العريض، واعملوا بطاعة الله شكراً"[1].

يتضح لنا من خلال تفسير الآية أن الشكر لا يكون باللسان فقط؛ وإنما يكون بالعمل وذلك باستعمال النعم بما يرضي الله سبحانه وتعالى وهذا ما أشار إليه الدكتور محمد راتب النابلسي بقوله:" وأدقُّ تعاريف الشكر: أن تستخدم النعم التي أنعم الله بها عليك فيما خُلِقْتَ له، وفيما أمرك به، أن تستخدم نعمة الصحَّة في طاعة الله، نعمة العين لرؤية آلاء الله، نعمة السمع لسماع الحق، نعمة اللسان لذكر الله عزَّ وجل، نعمة الذكاء لفهم كتاب الله، نعمة الذكاء لإقناع الناس بالحق، إذا استخدمت النعم التي أنعم الله بها عليك فيما يرضي الله، وفيما خُلِقْتَ من أجله فهذا أعلى درجات الشكر، أن تستخدم نعم الله فيما يرضي الله"[2] .

يمكننا القول: بأن هذه الأركان لابد من تحققها في نفس الإنسان؛ حتى يشعر بالراحة والطمأنينة؛ وحتى يعد من الشاكرين حقاً؛ ويحظى برضى الله عزوجل؛ لأنها إذا انتفت إحدى الركائز والأركان في نفس الإنسان، لا يعد شاكراً؛ فمثلا : إنْ كان مقراً في ذاته أن المنعم هو الله، واعترف بلسانه، لكنه لم يستعمل هذه النعم في طاعة الله، فإن كان مسلماً، كان من العصاة، مع علمنا وإيماننا بأن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ غني عن هذا الأمر– وإنما ما يفعله الإنسان من خيرٍ، فلنفسه– لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ ﴾[النمل :40]، فالله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يعطي العبد النعمة، وهذا يكون على سبيل العطاء والامتنان، لا على سبيل الحاجة والمعاوضة؛ لأنه غني عن العالمين سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

لذلك يقول ابن القيم رحمه الله:" وأما إنعام الرب تعالى على عبده: فإحسان إليه، وتفضل عليه، ومجرد امتنان. لا لحاجة منه إليه، ولا لمعاوضة، ولا لاستعانة به، ولا ليتكثر به من قلة، ولا ليتعزز به من ذلة، ولا ليقوى به من ضعف. سبحانه وبحمده، وأمره له بالشكر أيضا: إنعام آخر عليه، وإحسان منه إليه؛ إذ منفعة الشكر ترجع إلى العبد دنيا وآخرة، لا إلى الله والعبد هو الذي ينتفع بشكره [3]".

والله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أمر نبيه محمد ﷺ أن يتحدث بنعمة الله عليه؛ لأنه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يحب أن يرى أثر النعمة على عباده، فيقول جل في علاه: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[الضحى: 11].

---

(1) صفوة التفاسير، 2/ 502.
(2) موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية http://www.nabulsi.com بتاريخ2015/4/25م.
(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،241/2.

المطلب الثالث: أقسام الذنوب.

لابد من بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي قبل أن نبين الأقسام، وفيما يلي بيان ذلك:

الذنب لغة:

الذَّالُ وَالنُّونُ وَالْبَاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ أَحَدُهَا الْجُرْمُ، وَالْآخَرُ مُؤَخَّرُ الشَّيْءِ، وَالثَّالِثُ كَالْحَظِّ وَالنَّصِيبِ، لكن ما يعنينا هوا لمعنى الأول من المعاني الثلاث، الذَّنْبُ وَالْجُرْمُ(1)، والذنب : "يعني ارْتِكَاب أَمر غير مَشْرُوع"(2).

الذنب اصطلاحاً:

"الذَّنْبُ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ مُخَالِفٌ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَرْكٍ أَوْ فعل" (3).

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: "والذنب في الأصل: الأخذ بذنب الشيء، ويُستعمل في كل فعلٍ يُستوخم عقباه اعتباراً بذنب الشيء، ولهذا يسمّى الذنب تبعة، وعقوبة اعتباراً لما يحصل من عاقبته."(4)

أقسام الذنوب:

➢ **القسم الأول: تقسيمها من حيث عظمها:**

من حكمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، أن ذنوب البشر لا تتساوى، فمنها الصغائر، ومنها الكبائر، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بين لنا ذلك في كتابه العزيز، فقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ **الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ** ﴾[النجم: 32]، و"اللمم:هُوَ صِغَار الذُّنُوب كَالنَّظْرَةِ وَالْقُبْلَة وَاللَّمْسَة فَهُوَ اسْتِثْنَاء مُنْقَطِع لَكِنَّ اللَّمَم يُغْفَر بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِر٠

وفيما يلي بيان كل قسم:-

أولاً: الكبــائر:

أجمع أئمة السلف الصالح كما ذكرنا على أن الذنوب قسمين، صغائر وكبائر، واتفقوا على أن الكبائر هي ما عظم من الذنوب واستحق الحد في الدنيا، والعـذاب الأليـم فــي الآخرة، لكنهـم

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة، 361/2.

(2) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، ط دار الدعوة، ص316.

(3) إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ت: 505هـ، ط دار المعرفة – بيروت، دون سنة نشر، 16/4.

(4) المفردات في غريب القرآن، 331/1.

اختلفوا في الضوابط التي تحدد الكبائر.

"الكبائر جمع كبيرة وهي كل ما كبر من المعاصي وعظم من الذنوب واختلف فيها على أقوال، والأقرب أنها كل ذنب رتب الشارع عليه حدا وصرح بالوعيد عليه"[1] أو كل معصية وقيل كل ذنب قرن بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب، وقال رجل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الكبائر سبع؟ فقال هي إلى سبعمائة، فالكبيرة أمر نسبي فكل ذنب فوقه ذنب فهو بالنسبة إليه صغيرة وبالنسبة إلى ما تحته كبيرة"[2]، أو كل معصية تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين، ورقة الديانة، أو كل ما توعد عليه بخصوصه في الكتاب أو السنة، أو ما فيه حد أو عذاب أو غضب، أو لَعَن الله عزوجل، و لَعَن ورسوله فاعلها[3]، وهي ما نهى الله ورسوله عنها في الكتاب والسنة والأثر عن السلف الصالحين[4].

مما سبق يتضح لنا، أن العلماء اختلفوا، في الضابط الذي يحدد مفهوم الكبيرة، مع اتفاقهم على أن الكبيرة: كل ذنب يوجب حد في الدنيا، أو عذاب في الآخرة.

وقد بين ابن حجر الهيثمي في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر، أن الكبائر قسمين: ظاهرة وباطنة، وقد قام ببيانها، مستنداً للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، تلك الآيات والأحاديث التي يلحق صاحبها: إما اللعن، أو العذاب الأليم، أو وجوب الحد في الدنيا، أو دخول جهنم، وعدم دخول الجنة، مرتبا تلك الكبائر حسب أبواب الفقه وفق الفقه الشافعي، بدأها بباب الطهارة، وختمها بباب العتق.

ولعدل الله وحكمته قسم سبحانه الذنوب، لصغائر وكبائر؛ لأنها لو كانت كل الذنوب كبيرة، لعذّب كل الخلق، ولو كانت كل الذنوب صغيرة، لاستهان الناس بما يقترفونه من معاصي وذنوب، فهذا البيان من الحق تبارك وتعالى، وإن اجتهد العلماء في بيان الضوابط المحددة، وأقول اجتهادهم كان مبنياً على الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، لا على تعارض مع كلام الله ﷻ- حاشاه أن يعارض كلامه باجتهاد- لكن اجتهادهم يدل عن فهم لنصوص الكتاب والسنة.

---

(1) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ط مكتبة التجارية الكبرى – مصر ط الأولى، 1356، 60/5.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العينى ت 855هـ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 114/3.

(3) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيثمي، ط دار الفكر، ط الأولى، 1407هـ – 1987م، وانظر: التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين المناوي، ط عالم الكتب – القاهرة، ط الأولى، 1410هـ- 1990م، ص279، وانظر موسوعة الفقه الإسلامي، 535/4.

(4) انظر: الكبائر، للذهبي، لمحمد بن عثمان الذهبي، ط دار الندوة الجديدة – بيروت، ص1.

ونستطيع القول بأن الإنسان ليس معصوماً عن الخطأ، والزلل لكن يجب عليه، أن يُتبع هذا الزلل والخطأ باستغفار وتوبة؛ لأن الله تواب رحيم، غفور يغفر الذنوب صغيرها وكبيرها، إن رجع العبد وأناب إليه، ولم يعد للذنب مرة أخرى، وإن كان هذا الذنب عظيماً، فالقرآن الكريم يزخر بالآيات التي تدلل على كلامنا، وسيكون الحديث عن هذا الأمر بنوع من الإسهاب في مبحث الاستغفار وأثره على النعمة، فلا كبيرة مع الاستغفار، لكن الإصرار على الصغيرة يحولها إلى كبيرة، فعلى العبد أن لا يستصغر ذنب، ولا يستهين به، بل ينظر إلى عظمة من يعصي.

الأحاديث النبوية الشريفة التي ورد فيها بيان بعض الكبائر باللفظ الصريح:

1. عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺأ ىَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ قَالَ : **(أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قَالَ : قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ قَالَ : قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ"**[1].
2. قال رسول الله ﷺ **(أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ ثَلاَثًا الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَوْ قَوْلُ الزُّورِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَّكِئًا، فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ)** [2].
3. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ : **(اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ)** [3].

حكم مرتكب الكبائر عند أهل السنة والجماعة:

قال أبو العز الحنفي رحمه الله: "وأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في النّار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [النساء: 48].

وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته؛ وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته"[4].

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في الكبائر، ح (170)/ج1/ص163.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في الكبائر، ح (172)/ج1/ص64.

(3) المرجع السابق، ج1/ص164/ح176.

(4) شرح العقيدة الطحاوية، 524/2

ثانياً: الصغائر.

وهي كل ما سوى الكبيرة من صغائر الذنوب كاللَّمم"[1]، وتعد صغيرة قياساً مع غيرها من الذنوب؛ فهذه ذنوب تغفر بالاستغفار، وإتباع السيئة بالحسنة.

أما الصغائر فهي ما عدا الكبائر من الذنوب، وكفارة الكبائر هي التوبة إلى الله تعالى توبة نصوحاً، وكذلك الصغائر إلا أن الصغائر لها مكفرات أخرى غير التوبة مثل اجتناب الكبائر وممارسة الأعمال الصالحة بإتقان وانتظام، فمن مكفراتها الحج والعمرة وصوم رمضان والصلوات الخمس والجمعة وسائر الأعمال الصالحة، وهذا ما أخبرنا به النبي ﷺ حيث قال: **(الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ[2] الْكَبَائِرُ)** [3]

- **القسم الثاني: تقسيمها من حيث من وقعت في حقه:**

والإمام ابن تيمية رحمه الله، قسم الذنوب من حيث من وقعت في حقه لثلاثة أقسام، فقال:" الذُّنُوب ثَلَاثَة أَقسَام:

أحدها: مَا فِيهِ ظلم للنَّاس كالظلم بِأخذ الْأَمْوَال وَمنع الْحُقُوق والحسد وَنَحْو ذَلِك.

وَالثَّانِي: مَا فِيهِ ظلم للنَّفس فَقَط كشرب الْخمر وَالزِّنَا إذا لم يَتَعَدَّ ضررهما.

وَالثَّالِث: مَا يجْتَمع فِيهِ الْأَمْرَانِ مثل أن يَأْخُذ المتولي أَمْوَال النَّاس يزنى بهَا وَيشْرب بهَا الْخمر "[4].

- **القسم الثالث: تقسيمها باعتبار محله، وباعتبار متعلقه:**

- **يَنْقَسِمُ بِاعْتِبَارِ مَحِلِّهِ** : إلى ظاهر على الجوارح، وباطن في القلوب.
- **وباعتبار متعلقه إِلَى حَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ خَلْقِهِ**، وإن كَانَ كُلُّ حَقٍّ لِخَلْقِهِ فَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِحَقِّهِ، لَكِنْ سمي حقاً للخلق؛ لأنه يجب بمطالبتهم و يسقط بِإِسْقَاطِهِمْ[5].

وفيما يلي بيان إجمالي للأحكام الفقهية المترتبة على بعض هذه الأقسام، وأخص بالذكر والتوضيح حكم التعدي على حقوق الله، وعلى حقوق الغير، وحكم التعدي على ظلم النفس:

---

(1) موسوعة الفقه الإسلامي، محمد التويجري، ط بيت الأفكار الدولية، ط الأولى 1430هـ- 2009م، 535/4.

(2) ما لم تغش: ما لم ترتكب، انظر: شرح النووي على مسلم، 114/3.

(3) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات، حديث رقم 1،470/ 143.

(4) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،لابن تيمية، ط وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط الأولى 1418هـ،28/1-29.

(5) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ص123.

1- حكم التعدي على حقوق الله:

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الناس لغاية عظيمة ولهدفٍ سامٍ ألا وهو العبادة حيث قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: 56]، فما خلق الله سبحانه وتعالى الإنس والجن إلا لعباته طوعا أو كرهاً(1).

فمن خالف هذا الأمر كان من المعذبين حيث قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**﴾[النساء::172-173]، أي ومن يأنف ويتكبر عن عبادة الله سبحانه فسيبعثهم يوم القيامة للحساب والجزاء، وأما الذين يطيعونه ويأتمرون بأمره فإن الله يكافئهم بثواب عظيم فيهما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأما الذين أنفوا وتعظّموا عن عبادته فسيعذبهم عذاباً موجعاً شديداً(2).

فيما سبق بينا حكم المعتدى على حقوق الله من المستكبرين من الكفار والمشركين ومدى عقوبتهم التي تنظرهم عند ربهم سبحانه وتعالى، ولكن هناك من يعتدي على حقوق الله من الموحدين المسلمين، وذلك بتقصيرهم في أداء عبادتهم، أو الخروج عن منهج الله سبحانه وتعالى في مناحي الحياة الكثيرة في حياتهم، أو ارتكاب المعاصي والذنوب التي فيها اعتداء على حق الله سبحانه وتعالى، وهؤلاء المعتدين من المسلمين فمآلهم إلى ربهم سبحانه وتعالى، إما أن يعذب وإما أن يغفر فهذا الأمر يعود إليه سبحانه وتعالى، فلا يستطيع أحد أن يحكم على مصير هؤلاء؛لأن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿ **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[آل عمران:129]، يقول سيد قطب رحمه الله في تفسير هذه الآية:" وليس هنالك ظلم ولا محاباة للعباد، في المغفرة أو في العذاب، إنما يقضي الأمر في هذا الشأن بالحكمة والعدل، وبالرحمة والمغفرة، فشأنه- سبحانه- الرحمة والمغفرة، والباب مفتوح أمام العباد لينالوا مغفرته ورحمته، بالعودة إليه، ورد الأمر كله له، وأداء الواجب المفروض، وترك ما وراء ذلك لحكمته وقدره ومشيئته المطلقة من وراء الوسائل والأسباب"(3).

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 425/7.

(2) انظر: صفوة التفاسير، ص296.

(3) في ظلال القرآن، 472/1.

2- بيان حكم التعدي على حقوق الغير:

يجب على كل مسلم أن يعلم حدود حريته؛ حتى لا يعتدي على حقوق غيره، وحقوق الغير يشمل الحقوق المالية، وكذلك حقوق العباد الخالصة وذلك كالديون والأملاك وحق ذلك مما يتعلق بالأموال نقلاً وبقاءً، فهذه كلها حقوق العباد خالصة والاعتداء على حقوق العباد ظلم، ولا يقبل الله تعالى توبة عبد قد أكل حقاً من حقوق العباد إلا إذا أداه أو أسقطه صاحبه وعفا، وحق العبد يقبل الإسقاط، فإذا أسقط إنسان حقاً له على غيره فله ذلك، ويعنى بحق العبد المحض أنه لو أسقطه لسقط.[1]

3- بيان حكم ظلم النفس:

لقد خلق الله الإنسان وأنعم عليه بنعم لا تعد ولا تحصى، وأمره بالمحافظة على تلك الأمانة التي ائتمنها، وذلك بحفظ النفس من الإضرار بها بأي شكل من الأشكال، ولكن إن وقع الإنسان في معاصي وذنوب مثل شرب الخمر، والزنا وغيرها من الموبقات التي توجب حدوداً، ومات وهو على هذه الحال فهو معاقب؛ لأنه ارتكب أمراً منهياً عنه، وهذا ما أخبرنا به رب العزة في كتابه العزيز بقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ** ﴾[المائدة:90]، فالنهي في هذه الآية للتحريم.

وقد اعتبر شرب الخمر عمل من أعمال الشيطان؛ وذلك لأن الشيطان يُزين للإنسان المنكر ليقع فيه، ولكن إن تاب العبد من هذه الذنوب والمعاصي فإن الله سبحانه وتعالى يتجاوز عنه ويغفر له، وهذا إن تاب توبة نصوحاً بحيث لم يرجع مرة أخرى لمثل هذه المعاصي لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[النمل:11]، والمقصود من تبديل السوء بالحسن هو التوبة وإتباع بذلك بالأعمال الصالحة. [2]

وهناك أعمال صالحة كثيرة ذكرها النبي ﷺ بأنها تكفر الذنوب والخطايا، إلا أن أهل العلم قد اختلفوا في دخول الكبائر ضمن ما تكفره الأعمال الصالحة على قولين:

القول الأول: ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الأعمال الصالحة تكفر صغائر الذنوب، وأما الكبائر فلا تُكَفَّر بمجرد فعل الأعمال الصالحة، بل لا بد من التوبة بشروطها حتى تُكَفَّر[3].

قال القاضي عياض: "هذا المذكور في الحديث من غفران الذنوب ما لم تُؤتَ كبيرةٌ، هو مذهب أهل السنة، وأن الكبائر إنما تكفرها التوبة أو رحمة الله تعالى وفضله" [4]

---

(1) انظر: الفروق، القرافي، ط عالم الكتب بدون طبعة وبدون تاريخ، 201/2.

(2) انظر: أيسر التفاسير، 7/4.

(3) نيل الأوطار، للشوكاني، تحقيق: عصام الصبابطي، ط دار الحديث مصر، ط1، 3/ 57

(4) شرح النووي على صحيح مسلم 1/ 446.

المبحث الثاني

الاستغفار وصيغه، وأوقاته

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالاستغفار لغة واصطلاحا، وشروطه.

المطلب الثاني: صيغ الاستغفار.

المطلب الثالث: أحوال وأوقات يستحب فيها الاستغفار.

المبحث الثاني

الاستغفار وصيغه، وأوقاته

المطلب الأول: التعريف بالاستغفار لغة واصطلاحاً، وشروطه.

أولاً: التعريف بالاستغفار لغة واصطلاحاً:

الاستغفار لغة:

الاستغفار مصدر قولهم: استَغفَر يستغفر، وهو مأخوذ من مادة (غَ فَ رَ) التي تدل على الستر في الغالب الأعم، فالغَفْر الستر والغفر والغفران بمعنى واحد، يقال: غفر الله ذنبه غفراً ومغفرة وغفراناً[1].

وقال ابن منظور: "أصل الغفر التغطية والستر" يقال: اللهم اغفر لنا مغفرةً. واستغفر الله ذنبه على حذف الحرف طلب منه غَفْرة" [2]، وقال الراغب: "الغفر إلباس ما يصونه عن الدنس، والغُفْرَانُ والْمَغْفِرَةُ من الله هو أن يصون العبد من أن يمسّه العذاب"[3].

الاستغفار اصطلاحاً:

بناء على التعريف اللغوي أقول :الألف والسين تستعمل للطلب، ومما سبق علمنا أن الاستغفار لغة: هو الستر والتغطية، فيصبح التعريف الاصطلاحي له: هو طلب الستر والمغفرة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: المغفرة معناها وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب على الذنب فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه، وأما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن ومن عوقب على الذنب باطناً أو ظاهراً فلم يغفر له وإنما يكون غفران الذنب

إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب، وأما إذا ابتلي مع ذلك بما يكون سبباً في حقه لزيادة أجره فهذا لا ينافي المغفرة[4].

---

(1) انظر: مقاييس اللغة، ج4/ ص385.

(2) لسان العرب، ج5/ص25.

(3) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط الأولى – 1412 هـ، ج1/ص609.

(4) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، دون رقم طبعة – 1416هـ/1995م، ج10/ ص317.

ثانيا: شروط قبول الاستغفار:

يشترط لقبول الاستغفار وغيره من الأعمال الصالحة شروط لابد من توفرها:

1- صحة النية.

2- التوجه بندم وعزم إلى الله تعالى، والأدب معه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

3- الاعتراف بالذنب و الإقلاع عنه، وعدم الإصرار عليه، لقول الله:ﷻ " **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**" [آل عمران:152]، لذلك يقول ابن حجر رحمه الله : وقوله تعالى:" وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا": فيه إشارة إلى أن من شرط قبول الاستغفار أن يقلع المستغفر عن الذنب وإلا فالاستغفار باللسان مع التلبس بالذنب كالتلاعب[1]، والمذنب إذا تاب عن الذنب صار حاله كحال من لم يذنب قط في استحقاق المنزلة والكرامة عند الله. [2].

4- حضور القلب.

5- الإكثار من الاستغفار، وقد أورد هذين الشرطين الإمام ابن الجوزي[3]رحمه الله في كتابه التذكرة في الوعظ قائلاً: " "الذكر لله له شرطان حضور القلب في تحريره، وبذل الجسد في تكثيره فإن أحببت أن تكون في الراسخين الأقدام في هذا المقام فحرر الذكر على الإحسان وكثره بقدر الإمكان"[4]

وهذه الشروط لابد من اجتماعها، النية، والتوجه بعزم وندم، والأدب مع الله، والإقرار بالذنب، والإقلاع عنه؛ حتى يثمر الاستغفار، وتؤثر نتائجه في نفس العبد، فلو توفر شرط لا يكفي لكمال الاستغفار وقبوله، فلو توفرت النية مثلاً، لابد أن يتبعها عمل بعزم على ترك الذنب، وهذا

---

(1) انظر: فتح الباري، ج11/ص99.

(2) انظر: مفاتيح الغيب، ج3/ص36.

(3) ابن الجوزي: هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري، فقيه حنبلي محدث ومؤرخ ومتكلم، ولد ببغداد وتوفي فيها، ولد عام 511 هـ، وتوفي 12 رمضان 597 هـ، يعود نسبه إلى محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، عرف جدهم بابن الجوزي لشجرة جوز كانت في داره بواسط، وقيل نسبة إلى قرضة الجوز مرفأ نهر البصرة. انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق :علي شيري، ط دار إحياء التراث العربي، ط الأولى 1408 هـ - 1988 م، ج13، ص 34، وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 1، ص 47، وانظر: تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: 748هـ، ط دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط الأولى، 1419هـ- 1998م، ج 4/ ص 92.

(4) التذكرة في الوعظ، ابن الجوزي، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، ط دار المعرفة - بيروت ط الأولى 1406، (ج1/ ص 59) .

العزم لابد له من أدب مع الخالق ﷻ، والأدب والتذلل لله ﷻ، لابد معه من حضور القلب، فهذا الحضور يوجب على العبد المذنب، الاعتراف بالذنب والإقلاع عنه، فهذا التكامل في توفر الشروط لابد منه؛ حتى يستحق العبد التائب المغفرة من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهنا تتجلى معاني العفو الربانية، ويرسخ في النفس معنى اسم الله الغفور، التواب، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يفرح بتوبة العبد المذنب.

ونستدل على ذلك بحديث النبي ﷺ:(**اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلاَةٍ**"[1]، وفي رواية أخرى:" **لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ**[2]**مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ**) [3].

والمراد هنا أن الله تعالى يرضى توبة عبده أشد مما يرضى واجد ضالته بالفلاة فعبر عن الرضا بالفرح تأكيداً لمعنى الرضا في نفس السامع ومبالغة في تقريره، فكل ابن آدم خطاء– بخلاف الملائكة– المجبولة على الطاعة المطلقة، ونستشهد على ذلك بقول النبيﷺ: (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**) [4].

المطلب الثاني: صيغ الاستغفار

هناك صيغ كثيرة للاستغفار علمنا إياها النبي ﷺ، وعلى رأسها وسيدها، دعاء سيد الاستغفار.

1- عن شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رضي الله عنه: عَنِ ﷺ (**سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ** " **قَالَ: (وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**) [5].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التوبة، ح(6309)/ ج 8/ ص 68.

(2) أرض دوية: الأرض القفر والفلاة الخالية. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 17/ 61.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب فرح الله بتوبة عبده، ح(7055)/ج 8/ ص9.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب لو لم تذنبوا، ح(7065)/ج 8/ص 94.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، ح(6306)/ ج 8/ص67.

2- عن أَبِي مُوسَى ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: (**رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**). [1]

3- وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : **ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ ؟ قَالَ : (لَا يَنْفَعُهُ ! إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا : رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**) [2].

4- عن عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِي اللَّه عَنْه: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " **مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ**[3]**، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى، قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**"[4].

5- عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ يُعَدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةُ مَرَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: " **رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ**"، **ولفظ أبي داود: "رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**"[5]

وإذا كانت صيغ الاستغفار السّابقة مطلوبةً فإنّ بعض صيغه منهيٌّ عنها، ففي الصّحيحين واللفظ للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه: أَنَّ ﷺ قَالَ: "**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ** "[6]

فعلى الإنسان أن يدعو الله وهو موقن بالإجابة؛ فالله غفور رحيم أرحم من الأم بابنها، فالله ﷻ كريم، يستحي أن يرد يدي العبد صفراً خائبتين، و ما أمرنا بالدعاء إلا ليسمع صوت العبد الضعيف، فهو غفور رحيم، يعطي العبد ويجزل له العطاء؛ لكن العبد هو المقصر في حقه سبحانه وفي حق نفسه، ومع ذلك فإن استغفر العبد وتاب تاب الله عليه، فعليه أن يظن بالله خيراً ولا يقنط؛

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل ، ح(1120)/ ج2/ ص48.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب 92- باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، ح(438)/ ج 1/ ص135.

(3) تعار من الليل: استيقظ ليلاً، انظر فتح الباري، 28/3.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى،ح(1154)/ ج 2، ص54.

(5) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما يقول إذا قام من مجلسه، ح (3434)/ ج 5/ ص 494، قال الألباني رحمه الله: صحيح. وأخرجه أبو داوود في سننه، باب في الاستغفار، ح(1516)/ ج2 /ص85.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة، فإنه لا مكره له، ح(6338)/ ج8/ ص74.

لأن القنوط من صفات الكافرين لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:87]

المطلب الثالث: أحوال وأوقات يستحب فيها الاستغفار.

هناك أوقات وأحوال يستحب فيها الاستغفار أكثر من غيرها، وذلك للأهمية البالغة لهذه الأحوال والأوقات، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: الأحوال التي يستحب فيها الاستغفار:

أ. عند ارتكاب الفاحشة :

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّه فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّه وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: 135-136]، فمن أغواه الشيطان، واستدرجه إلى طريق المعاصي والضلال، ثم أفاق من تلك الغفلة، وأراد أن يتوب من ذنبه، وجد الله غفوراً رحيماً فقد أخبرنا النبي ﷺ في حديثه الشريف عن ربه ﷻ حيث قال: **عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (قَالَ إِبْلِيسُ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا أَزَالُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. فَقَالَ اللهُ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي)** [(1)].

ب. عند الظلم :

إما بظلم الآخرين، أو باقتراف إثم أو معصية في حق النفس .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ [النساء: 64].

ج. ما دون الشرك الأكبر:

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾ [النساء:116].

(1) أخرجه أحمد في مسنده، ح(11409)/ ج4/ص1832.

يقول سيد قطب رحمه الله في الظلال:" دام العبد يشعر بالله ويرجو مغفرته ويستيقن أنه قادر على أن يغفر له وأن عفوه لا يقصر عن ذنبه.. وهذا منتهى الأمد في تصوير الرحمة التي لا تنفد ولا تحد والمغفرة التي لا يوصد لها باب ولا يقف عليها بوّاب"[1]

د. عند الاستسقاء :

لا يُستسقى بمثل الاستغفار، والتوبة للواحد القهار حيث قال ﷺ : **(خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الأنصاري وَخَرَجَ مَعَهُ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ رضي الله عنهم فَاسْتَسْقَى، فَقَامَ بِهِمْ عَلَى رِجْلَيْهِ عَلَى غَيْرِ مِنْبَرٍ فَاسْتَغْفَرَ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ يَجْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ وَلَمْ يُؤَذِّنْ، وَلَمْ يُقِمْ)**[2].

ثانياً: الأوقات التي يستحب فيها الاستغفار.

هناك أوقات مخصوصة أكثر من غيرها يستحب فيها الاستغفار هي على النحو التالي:

أ. وقت السحر.

قال تعالى: ﴿**الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ** ﴾[آل عمران :17]، وقال أيضاً: ﴿ **وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[الذاريات:18]، فقد أثنى الله على المستغفرين في هذا الوقت؛ فهو من الأوقات المستجاب فيها الدعاء؛ لأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ينزل في هذا الوقت للسماء الدنيا لقوله ﷺ:(**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**) [3]، وقد ذكر بعض المفسرين رحمهم الله تعالى أن يعقوب عليه السلام قال لبنيه ﴿ **سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي** ﴾[يوسف: 98]، أي: أخرهم إلى وقت السحر[4].

ب . بعد الاستيقاظ من النوم.

يعقد الشيطان على قافية الإنسان عند نومه فإن استغفر العبد انفكت هذه العقدة، لقول النبي ﷺ: **(يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ**

---

(1) في ظلال القرآن، 678/2.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب تحويل الرداء في الاستسقاء، ح (1012)/ ج2/ص27.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب الدعاء في صلاة الليل، ح(1145)/ج2/ص53.

(4) انظر: تفسير ابن كثير، 410/4.

عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ) [1]، فيصبح العبد إنْ ذكر الله عند استيقاظه، وصلى بالليل والناس نيام؛ نشيطاً يؤدى ما عليه من واجبات، بكل صفاء ذهن وطيب نفس، ويرزق التوفيق في عمله.

ج. الاستغفار في طرفي النهار"الصباح والمساء".

وهذا أمر من الله سبحانه لتهييج الأمة على الاستغفار حيث قال تعالى ﴿ **وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ**﴾[غافر:55]، "ففي هذا الأمر تهييج للأمة على الاستغفار"[2]، وحديثنا سيد الاستغفار خير دليل على ذلك، وحاصل هذا أن من قال الدعاء المذكور من أول نهاره، فمات في ذلك اليوم؛ كان من أهل الجنة، ومن قاله من أول ليله، فمات في تلك الليلة؛ كان من أهل الجنة، والمراد أن يقوله صباحاً ومساءً طرفي النهار[3].

د. الاستغفار في الصلاة:

الصلاة هي أعظم مظاهر العبادة، وأحسن أحوال الداعي، وأحرى مواطن الإجابة؛ لأنها هي التوحيد الفعلي؛ ولأن المصلي يناجي ربه والله يُقبل عليه بوجهه ما دام مقبلاً على صلاته فأقرب ما يكون العبد إذا كان في صلاته ولذا فهي من أعظم مواطن الاستغفار وأحراها بنيل المغفرة، ولذلك ذكر الله تعالى عن سيدنا داودعليه السلام أنه استغفر في صلاته فغفر الله له قال تعالى:﴿ **وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ** ﴾[ص:25].

فمن أدعية الصلاة، دعاء الاستفتاح:(**اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ**، والدعاء بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ : **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ)** [4].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل، ح (1142)/ ج2/ ص52.

(2) مختصر ابن كثير، (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، ط دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط السابعة، 1402 هـ – 1981 م، 248/2.

(3) انظر: نتائج الأفكار، ص 379.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الذكر والدعاء في الصلاة، ح(1762)/ ج2/ص185.

هـ. الاستغفار عقب أداء العبادات.

لقد أمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عباده الصالحين بالاستغفار عقب أداء العبادات، وذلك لأن العبد عندما يؤدي العبادة ولابد وأن يلحقها النقص مثل السهو والوسوسة في الصلاة، وكذلك شُرع الاستغفار بعد أداء مناسك الحج، حيث قال تعالى: ﴿ **أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[البقرة:199].

و. الاستغفار في المجلس وعند القيام منه.

لا تخلو مجالس الناس من اللغو، والرفث، وغيرها من الذنوب التي يقترفها العبد بلسانه؛ لذا علمنا النبي ﷺحديثاً يكن كفارة في مثل تلك المجالس حيث قال:(**كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ، وَلَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلِسِ خَيْرٍ وَمَجْلِسِ ذِكْرٍ إِلَّا خُتِمَ لَهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ كَمَا يُخْتَمُ بِالْخَاتَمِ عَلَى الصَّحِيفَةِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**) (1).

و. عند النوم.

فحري بالعبد أن يختم يومه بالاستغفار؛ لعله لا يستيقظ من نومه، فالإنسان عندما ينام يموت الموتة الصغرى؛ لقوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[الزمر:42]، قال ابن كثير رحمه الله:" وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى، بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام(2)

(1) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الأدب، باب في كفارة المجلس، ح(4857)/ج4/ص264، وقال الألباني: صحيح غير كلمة ثلاث .

(2) تفسير ابن كثير، 7/ 101

المبحث الثالث
الجنّة ونعيمها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الجنّة، تعريفها وأسماؤها.

المطلب الثاني: من مفاتيح الجنة.

المطلب الثالث: من نعيم الجنة.

المبحث الثالث

الجنّة ونعيمها

المطلب الأول: تعريف الجنّة.

رغّب النبيﷺ أمته بالمواظبة على ذكر دعاء سيد الاستغفار بقوله:(**من قَالَهَا حِين يُمْسِي فَمَاتَ من ليلته دخل الْجنَّة، وَمن قَالَهَا حِين يصبح فَمَاتَ من يَوْمه دخل الْجنَّة**)، فمن منا لا يتمنى أن يُكلل عمله بالقبول ويفوز على ما بشر به الرسولﷺ، تلك البشرى التي رام لها الأولون والآخرون ألا وهي الجنة، فارتيئت أن أتناول الحديث عنها، مع ذكر أسمائها، والأعمال التي تعتبر جسراً يسير العبد عليه ليصل إليها، مختتمة الحديث عن نعيمها كما ذكره الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في القرآن الكريم، وذكرها النبيﷺ في أحاديثه النبوية.

أولاً: الجنة لغة واصطلاحاً.

1- الجنة لغة:

هي:البستان العظيم الذي يستر ما بداخله، وهي مشتقة من مادة: جنن التي هي بمعنى الستر، ولذلك سمى الجن جناً لاستتارهم واختفائهم عن الأنظار، كما سمي الجنين جنيناً لاستتاره في بطن أمه، ومنه جنون الليل أي شدة ظلمته وستره لما فيه. [(1)]

والجنة هي: "الحديقة ذات النخل والشجر والبستان ودار النعيم في الآخرة والجمع: جنان"[(2)].

2- الجنة اصطلاحاً:

الجنة:"اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهي جنات كثيرة جداً"[(3)]. مما يدلل على أن الجنة ليس جنة واحدة، وإنما هي جنان هذا الحديث الشريف فعن أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سرقة أتت رسول اللهﷺ **قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ، قَالَ: (يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى)** [(4)]

---

(1) انظر: لسان العرب، 100/13.

(2) المعجم الوسيط، ص141.

(3) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، ط مطبعة المدني، القاهرة، دون رقم طبعة، دون سنة النشر، ص 102.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من أتاه سهم غرب فقتله،ح(2809) /ج4/ص20.

ثانياً: أسماء الجنة(1):

لقد سمى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ الجنة بأكثر من اسم في القرآن الكريم وهي على النحو التالي:

1. **جنَّة الفِردوس:**

حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾[الْكهف: 107]، وقال أيضاً: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[الْمؤمنون:11]. قال قتادة: "الفردوس: ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها"(2)، وقال عبد الله بن عباس ﷺفي تفسيره :"الفردوس: أعلاها درجة"(3).

2. **جنَّة النَّعيم:**

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[يونس: 9]، وهناك سبع آيات جاءت فيها تسمية الجنة بالنعيم، ولكن اكتفيت بذكر هذه الآية لأدلل على الاسم، وسميت بالنعيم لأن أهلها: "يتنعمون فيها بأنواع الملاذ، من المآكل والمشارب والملابس والمساكن، والمراكب، والنساء، والنضرة، والسماع، الذي لم يخطر ببال أحد، وهم في ذلك مقيمون دائماً لا يظعنون ولا يبغون عنها حولا"(4).

3. **جنَّة الْخلد:**

الخلد اسم من أسماء الجنة لقوله تعالى:﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾[الفرقان: 15]، وتدل إضافة الجنة إلى الخلد على ديمومة وبقاء النعيم مع عدم الانقطاع (5).

---

(1) اللطائف في اللغة = معجم أسماء الأشياء، أحمد بن مصطفى اللَّبَابِيدي الدمشقي، ط دار الفضيلة – القاهرة، دون رقم طبعة، دون تاريخ نشر، ص63.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 203/5.

(3) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص253.

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 332/7.

(5) فتحُ البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان القنوجي، ط المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، دون رقم طبعة، 1412 هـ – 1992 م، 291/9، بتصرف.

4. جنَّة المأوى:

حيث قال تعالى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾[النجم: 15]، "وهي الجنة التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين"(1).

5. جنَّة عدن:

قال تعالى:﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾[مريم: 61]، وهناك عشر آيات أخرى ذكر فيها هذا الاسم"جنات عدن"، **والعدن** تعني:" الإقامة الدائمة"(2).

6.دَار السَّلَام:

قال تعالى:﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام: 127]، ودار السلام اسم من أسماء الجنة، قال الزجاج:" وفي تسميتها **دار السلام** وجهان: أحدهما: لأنها دار السلامة الدائمة من كل آفة، والثاني: أن السلام هو الله، والجنة داره، فلذلك سُمِّيَتْ دار السلام"(3).

7.دَار الْمُتَّقِينَ:

وردت تسمية الجنة بدار المتقين في قوله تعالى:﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾[النحل: 30]،"**فدار المتقين** هذه: هى تلك الجنات، التي تجرى من تحتها الأنهار، لهم فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين خالدين فيها"(4).

8. دار القرار:

ذكر الحق تبارك وتعالى أن الدنيا مهما كثر نعيمها وتشعب فإنه إلى زوال، أما الدوام الأبدي للنعيم ففي الجنة وما أعده الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للمتقين المطيعين، حيث قال تعالى على لسان مؤمن

---

(1) صفوة التفاسير، 256/3.

(2) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، ط مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط الخامسة 1424هـ/2003م، 319/3.

(3) النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، دون رقم طبعة، دون تاريخ النشر، 167/2.

(4) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، ط دار الفكر العربي – القاهرة، دون رقم طبعة، دون تاريخ نشر، 290/7.

من آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[غافر: 39]، **ودار القرار:** أي دار الاستقرار والخلود .(1)

9. مقعد صدق:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾[القمر:54-55]، **فالمقعد الصدق:** هو المجلس الحق الذي لا لغو فيه ولا تأثيم؛ فمجالس الجنات سالمة من اللغو والتأثيم، بخلاف مجالس الدنيا فقل أن تسلم من ذلك(2).

10. المقام الأمين:

حيث قال الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[الدخان: 51]، **والمقام الأمين:** هو المجلس الآمن من كل همّ وحزن(3).

يتضح لنا من خلال بيان أسماء الجنة المذكورة في القرآن الكريم، هي وصف للجنة أكثر مما هي أسماء حتى لا يتوهم العبد المسلم أن لكل جنة اسم وإنما وصف كل جنة منها أنها دار سلام، وأنها ومقام أمين، ومقعد صدق، ودار قرار، ودار المتقين، وهي جنة عدن ومأوى وخلد ونعيم، بخلاف الفردوس فهي درجة من درجات الجنة وهي أعلاها.

المطلب الثاني: من مفاتيح الجنة.

لا يستطيع الإنسان أن يلج مكاناً إلا بحيازة مفاتيح لذلك المكان، وكذلك الجنة لا يلجها إلا من أعد لها العدة وتأهب لذلك؛ ولا يتأتى ذلك إلا بمجاهدة النفس، وبذل كل ما هو غالٍ ونفيس؛ من أجل رضا رب العالمين، فهي سلعة الله الغالية كما قال النّبيﷺ:(**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةُ)** (4)، وفيما يلي بيان لعبادات اعتبرها الشارع الحكيم من موجبات دخول الجنة.

(1) محاسن التأويل، 310/8، بتصرف.

(2) تفسير الجلالين، ص708، بتصرف.

(3) تفسير المراغي،136/25، بتصرف

(4) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ح(2450) /ج4/ص633، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني.

أولاً: تحقيق كلمة التوحيد.

فكلمة التوحيد هي الباب الرئيس لدخول الجنة، فبدونها لا يمكن لبشر مهما كانت منزلته في الدنيا أن يدخل الجنة إلا بتحققها في نفسه جوهراً ومظهراً- وذلك بما وقرفي جنانه وما نطق به لسانه- أن لاخالق ولا معبود إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فمن كان هذا حاله فهو من المخلدين في الجنة لا محاله، هذا ما أخبرنا به سيدنا محمدﷺ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:(**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا)** [1].

فهذه شهادة صريحة من النبي ﷺ أن من مات وكان مؤمناً بجميع ما يجب الإيمان به دخل الجنة[2]؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتجاوز عن العبد مالم يشرك به، فإن أشرك به فهو من الخاسرين المخلدين في نار جهنم والعياذ بالله.

ثانياُ: الصلاة.

فالصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين، فمن حافظ عليها وأقامها بكل شروطها وأركانها، كان من الفائزين بالجنة خاصة صلاة البردين لقول النّبيﷺ:**(مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ**[3]**دَخَلَ الجَنَّةَ)** [4]، فهذا يعني أن المحافظ على الصلاة يكن من أهل الجنة لا سيما تلك الصلاتين.

فالحكمة من تخصيص المحافظة على تلك الصلاتين أنهما محط اختبار للإنسان، فقد بيّن ذلك الدكتور محمد راتب النابلسي بقوله : "هذان وقتان حرجان يميل الإنسان فيهما إلى النوم، ودائماً وأبداً التكليف مناقض لطبع الإنسان وهذا التناقض هو ثمن الجنة، ثمن الجنة أن التكليف يناقض الطبع، الطبع أن تنام، والتكليف أن تستيقظ لصلاة الفجر، و الطبع أن تنام بعد الظهر نوماً مديداً، والتكليف أن تصلي العصر في وقته"[5].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، ح(128)/ ج1/ ص37.

(2) فتح الباري، ابن حجر، 228/1، بتصرف.

(3) البردين: صلاتي الصبح والعصر، قال الخطابي: سميتا بردين؛ لأنهما تصليان في بردي النهار وهما طرفاه حين يطيب الهواء، فتح الباري، 53/2.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، ح(574) /ج1/ص119.

(5) موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، http://www.nabulsi.com، بتاريخ2014/5/2م.

والصلاة على وقتها من أحب الأعمال إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، حيث قال النبي ﷺعندما سُئل عن أحب الأعمال إلى الله قال:(**الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)** (1).

ثالثاً: الصوم.

الصوم من مفاتيح الجنة، فقد خصص الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للصائمين باباً في الجنة ألا وهو باب الريان حيث قال النّبيﷺ: **(إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَال لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ)** (2).

قال ابن حجر رحمه الله:"إنما قال: في الجنة، ولم يقل: للجنة ليشعر بأن في الباب المذكور من النعيم والراحة ما في الجنة، فيكون أبلغ في التشويق إليه. قلت: وإنما لم يقل للجنة، ليشعر أن باب الريان غير الأبواب الثمانية التي للجنة"(3).

"وسمي الباب بالريان؛ لمناسبته لحال الصائمين وسيأتي أن من دخله لم يظمأ، قال القرطبي: اكتفي بذكر الري عن الشبع لأنه يدل عليه من حيث أنه يستلزمه، وقال ابن حجر رحمه الله: أو لكونه أشق على الصائم من الجوع"(4).

رابعاً: الزكاة.

الزكاة ركن من أركان الإسلام، فمن أنكرها فقد هدم ركناً من أركانها وكان مرتداً وجب محاربته، في حين أن من واظب عليها، وأداها مستوفياً شروطها، وأخرجها بنفس طيبة ومؤمنة بأن هذا المال الذي في يده هو مال الله عز وجل، وأنه سبحانه هو الذي استخلفه في الأرض، وأمره بأداء الزكاة، دخل الجنة لا محالة وبهذا أخبرنا النبي ﷺ عندما جاءه رجل يسأله عن عمل يدخله الجنة فقال:(**تَعْبُدُ اللَّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ)، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا)** (5)، فهذا الحديث يدلل على أن الزكاة باب من أبواب الجنة بشهادة النبيﷺ .

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها،ح(527) /ج1/ص112.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، ح(1896) /ج3/ص25.

(3) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 262/10.

(4) فتح الباري، ابن حجر، 111/4.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ح(1397) / ج105/2.

خامساً: الحج.

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، من أدى هذه الفريضة من مال حلال وبقلب مخلص بلا رياء ولاسمعة، وحفظ نفسه بعد الحج من الذنوب والمعاصي التي كان يقترفها قبل حجه، كانت الجنة جزائه ومنزله، وهذا ما أخبرنا به الصادق الأمين سيدنا محمدﷺ حيث قال: **(العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ)** [1].

فالحج المبرور:" هو الحج الذي لا يخالطه إثم أو المتقبل الذي لا رياء فيه ولا سمعة"[2]؛ لأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يقبل إلا العمل الخالص له، النقي الذي لا تشوبه شائبة، فحري بكل مسلم أن يعبد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالصورة الصحيحة التي أرادها الله عزوجل؛ حتى يفوز بالخير والثواب العظيم الذي ينتظره.

سادساً: صلة الرحم.

لقد حث الشارع الحكيم على التواصل الاجتماعي بين الناس خاصة الأقارب، وبيّن النبي ﷺ أن صلة الرحم سبب لدخول الجنة، عندما سأله رجل عن عمل يُدخله الجنة فأجابه ﷺ:**(تَعْبُدُ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ)** [3].

وتصل الرحم:" معناه أن تحسن إلى أقاربك ذوي رحمك بما تيسر على حسب حالك وحالهم من إنفاق أو سلام أو زيارة أو طاعة أو غير ذلك، وخص هذه الخصلة من بين خلال الخير؛ نظراً إلى حال السائل كأنه كان لا يصل رحمه فأمره به لأنه المهم بالنسبة إليه، ويؤخذ منه تخصيص بعض الأعمال بالحض عليها بحسب حال المخاطب وافتقاره للتنبيه عليها أكثر مما سواها؛ إما لمشقتها عليه وإما لتساهله في أمرها"[4].

سابعاً: الصدقة والجهاد:

قال النبيﷺ:**(منْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ[5]فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ**

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب العمرة وفضلها،ح(1773) / ج3/ ص2.

(2) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني، ط المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط السابعة، 1323 هـ، 261/3.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ح(1396) / ج2/ص105.

(4) فتح الباري، ابن حجر، 265/3.

(5) المراد بالزوجين:" إنفاق شيئين من أي صنف كان من أصناف المال"، فتح الباري، ابن حجر، 264/10.

مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ) (1).

في الحديث بيان صريح أن الجنة لها أبواب، فكل من أكثر من عبادة خص بباب يناسبها ينادى منه جزاء وفاقًا، وقل من يجتمع له العمل بجميع أنواع التطوّعات، ثم إن من يجتمع له ذلك إنما يدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم، وإلا فدخوله إنما يكون من باب واحد وهو باب العمل الذي يكون أغلب عليه(2).

ثامناً: حسن التوكل على الله.

أخبرنا النبي ﷺ أن التوكل على الله سبباً في دخول الجنة بلا سابقة حساب حيث قال:(**.... وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ القَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْأَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ......)** (3).

"والمراد بهؤلاء المذكورين في الحديث من غفل عن أحوال الدنيا وما فيها من الأسباب المعدة لدفع العوارض؛ فهم لا يعرفون الاكتواء ولا الاسترقاء وليس لهم ملجأ فيما يعتريهم إلا الدعاء والاعتصام بالله والرضا بقضائه؛ فهم غافلون عن طب الأطباء ورقى الرقاة ولا يحسنون من ذلك شيئا والله أعلم، و المراد بترك الرقى والكي الاعتماد على الله في دفع الداء والرضا بقدره لا القدح في جواز ذلك؛ لثبوت وقوعه في الأحاديث الصحيحة وعن السلف الصالح لكن مقام الرضا والتسليم أعلى من تعاطي الأسباب"(4).

تاسعاً: الإيمان و محبة المؤمنين وإفشاء السلام.

الإيمان والمحبة وإفشاء السلام تلك حلقات متصلة مع بعضها البعض لابد من تلازمها حتى يدخل العبد الجنة، وبهذا أخبرنا النبي ﷺ حيث قال:(**لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ)** (5).

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين/ح(1897) /ج2/ص25.

(2) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري 349/3، بتصرف.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو، ح(5705)، ج7/ ص126.

(4) فتح الباري، ابن حجر، 212/10.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها، ح(54) /ج1/ص74.

سبق وأن بينا أن النبي ﷺ أخبرنا بأنه لا يدخل الجنة إلا مؤمناً وهذا على عمومه، ولكن المقصود بالإيمان هنا كمال الإيمان، ولا يكمل الإيمان إلا بالتحاب، وفي الحديث حث عظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم، والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة؛ وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين(1).

عاشراً: الدعاء بعد الوضوء.

أخبرنا النبي ﷺ أن الجنة مآل كل من واظب على قول:(**أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**) (2).

فأي نعيم هذا تفتح أبواب الجنة الثمانية لمن يلتزم بقول هذا الدعاء بعد الوضوء!!!.

قال الشيخ محمد عبد الباقي:" عبادة سهلة متيسرة يقدر عليها كل أحد بلا مشقة ومنها أن أجرها عظيم"(3)، لذا كان لزاماً على طالب الرضوان ليفوز بخير جنان أن يداوم على هذا الذكر من الأذكار النبوية الصحيحة.

حادي عشر. إدامة الطهارة والصلاة بعدها.

حث النبي ﷺ أمته على إسباغ الوضوء والصلاة بعده بركتين؛ حتى تفوز بالكنوز المخبوءة لهم عند خالقهم الرحمن الرحيم حيث قال:(**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**) (4)، فوصية الرسول ﷺ لأتباعه دائماً وأبداً هي إتقان العبادة وأدائها على أكمل وجه؛ حتى يحوز العبد على الثواب المنتظر، وهناك حديث آخر جاء فيه أن النبي ﷺ سمع دف نعلي بلال بن رباح ﷺ في الجنة؛ لأنه كان يواظب على هذه السنة حيث **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلاَلٍ: (عِنْدَ صَلاَةِ الفَجْرِ يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ) قَالَ: "مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ"**(5).

---

(1) شرح النووي على مسلم، 36/2، بتصرف

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الصلاة والذكر بعد الوضوء،ح(437) /ج1/ص143.

(3) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أبو اسحق الحويني، ط دار ابن عفان للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية – الخُبر، ط الأولى 1416 هـ – 1996 م، 23/2.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الصلاة والذكر بعد الوضوء،ح(437) /ج1/ص143.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب فضل الطهور بالليل والنهار وفضل الصلاة بعد الوضوء، ح(1149) /ج2/ص53.

يدل هذا الحديث دلالة قاطعة على استحباب إدامة الطهارة ومناسبة المجازاة على ذلك بدخول الجنة[1]، كما ويحمل الحديث في طياته فائدة عظيمة وهي:أن دوام الطاعة على قدر الاستطاعة هو الذي بلّغ بلال تلك المنزلة، وذلك بأن يزف إليه النبيﷺ هذه البشارة التي لم يزفها إلا للنزر اليسير من صحابته رضوان الله عليهم.

ثاني عشر: الصبر على ذهاب نعمة البصر.

نعمة البصر نعمة عظيمة وهبها الله للإنسان، فبدونها يفقد الكثير من وسائل تفاعله مع المحيط الذي يعيش فيه، مما يؤثر ذلك بالسلب على حياته، فمن يصبر كان ثوابه دخول الجنة، وهذا ما أخبرنا بهﷺ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " **إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ**[2]**فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ** "[3].

فقد عبر الله عن العينين بالحبيبتين وفي رواية أخرى بالكريمتين؛ لأن فقدانهما يعنى فقدان النور الذي يضيء للإنسان طريقه، وفقدان رؤية العالم من حوله وما فيه من جمال الخضرة والمناظر الخلابة في الطبيعة من حوله؛ فكان الجزاء من جنس العمل، فمن حُرم في الدنيا من رؤية تلك الأمور، عوضه الله جنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهذا الجزاء لكل فاقد لبصره صابر ومحتسب الأجر بدون حزن أو شكوى أو ضجر.

ثالث عشر: الصبر على المرض.

يتفاوت الناس في الصبر على الأمراض فمنهم من لا يصبر على ألم شوكة يشاكها، في حين أن هناك أناس يصبرون على آلام شديدة لو أصيب بها جمل لأردته أرضاً_ هذا هو حال البشر_ لكن يا تُرى ما الذي يجعل هذا يصبر ويتحمل، وذاك يجزع ويصرخ من الألم؟، إنه الإيمان واليقين بالله وما أعده الله للصابرين، فقد حدثنا الصحابة الكرام رضوان الله عليهم عن امرأة سوداء كانت تصرع فجاءت إلى النبي ﷺ؛ لكي يدعو الله لها بالشفاء، لكن النبي ﷺ خيرها بين أمرين فقال لها:(**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ ،فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا**) [4].

---

(1) فتح الباري، 35/3، بتصرف.

(2) حبيبتيه: عينيه؛ وسميت حبيبتيه لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 215/21.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب فضل من ذهب بصره، ح(5653) /ج3/ص190.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب فضل من يصرع من الريح ح(5652) /ج7/ص116.

تخيير النبي ﷺ للمرأة فيه بيان فضيلة ما يترتب على الصبر على الصرع، وأن اختيار البلاء والصبر عليه يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه أنه يطيق التمادي على الشدة، ولا يضعف عن التزامها(1).

رابع عشر: التزام المرأة بأمور دينها.

المرأة هي صمام أمان للمجتمع؛ لذلك فقد أخبرنا النبيﷺ بعظم الأجر التي ينتظر كل امرأة استقامت على دينها، في عبادتها وطاعة زوجها وحفظ شرفها وكرامتها حيث قال:

(إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خُمُسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت) (2).

فالنفس البشرية دائمة التفكير بمستقبلها الأبدي وفيما ينتظرها من نعيم؛ لذلك أراد النبيﷺ أن يزف هذه البشرى لكل امرأة؛ لعلمهﷺ أن استقامة المرأة تنعكس على استقامة أسرتها ومجتمعها، وبذلك تنحصر الفتن وتضمحل المنكرات من حياة المجتمعات الملتزمة.

المطلب الثالث: نعيم الجنة.

الجنة هي دار المتقين، وسلعة الله الغالية يدخلها العبد برحمة الله ﷻ وهذا ما أخبرنا به الرحمة المهداة سيدنا محمدﷺ حيث قال:(**لاَ يُدْخِلُ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَلاَ يُجِيرُهُ مِنَ النَّارِ، وَلاَ أَنَا، إِلاَّ بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ)** (3).

ولكن قد يسأل سائل هل هناك تعارض بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[الزخرف: 27]، وكذلك قوله: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[السجدة: 17].

فقد أجابنا على ذلك الإمام النووي رحمه الله بقوله:" فلا تعارض بين الحديث وهذه الآيات، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل، ولكنه دخل بالأعمال: أي بسببها وهي من الرحمة والله أعلم"(4).

---

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري،215/21.

(2) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب النكاح، باب معاشرة الزوجين،ح(4163) /ج9/ص471، قال الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، ط المكتب الإسلامي، دون رقم طبعة،ح 174/1.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب لن ينجي أحدًا منكم عملُه، ح(7215) /ج8/ص140.

(4) شرح النووي على مسلم، 161/17.

وفيما يلي بيان لبعض ما ينتظر العبد من نعيم في الجنة:

أولاً: أنهار الجنة:

1. أنهار الماء الخمر والعسل واللبن:

حيث قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾[محمد: 15].

قال ابن القيم رحمه الله:"وذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصاً، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي في اللذة وشربها وآفة العسل عدم تصفيته، وهذا من آيات الرب تعالى أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها ويجريها في غير أخدود وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة"(1).

فتنوع الأنهار يدل على كرم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى مع عباده المتقين من جهة، ومن جهة أخرى حتى لا يشعر الإنسان بالملل من نوع واحد.

2- نهر الكوثر:

وهو نهر من أنهار الجنة اختص به النبيﷺ حيث قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾[الكوثر: 1]. "وهذا الخطاب للرسول ﷺ تكريماً لمقامه الرفيع وتشريفاً أي نحن أعطيناك يا محمد الخير الكثير الدائم في الدنيا والآخرة، ومن هذا الخير «نهر الكوثر»"(2)، وقد بيّنﷺ صفة هذا النهر بقوله: (**بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِيبُهُ، أَوْ طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ**(3)) (4).

3-سيحان وجيحان:

وهما نهران باطنان وهذا ما اخبر به النبيﷺ أنه رأى في رحلة المعراج أربعة أنهار حيث قال:(**وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ**) (5).

---

(1) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ط مطبعة المدني، القاهرة،دون رقم طبعة، دون سنة النشر، ص179.

(2) صفوة التفاسير، 585/3.

(3) الأذفر: كل ريح ذكية من طيب، مختار الصحاح، 112/2.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح(6581) /ج8/ص120.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الصحابة، باب المعراج، ح(3887) /ج5/ص52.

وبين لنا النبيﷺ اسميّ هذين النهرين فقال:(**سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ، وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ**) (1).

ثانياً: أشجار الجنة:

من النعيم المدخر للإنسان في الجنة الأشجار الكثيرة وبأنواع مختلفة، وهذا أخبرنا به القرآن الكريم، وأنبأنا به النبيﷺ في السنة النبوية، وفيما يلي بيان ذلك:

1- سدرة المنتهى.

هذه الشجرة التي رآها النبيﷺ أثناء رحلة المعراج وقد ذكرها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في القرآن الكريم حيث قال: ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى** ﴾[النجم: 13- 17].

السدرة: هي شجرة النبق وشبهت بالسدرة؛ لأنهم يجتمعون في ظلها، يعني أن شجر النبق يجتمع الناس في ظله، وهذه يجتمع عندها الملائكة، والمقصود من الآية: أن النبيﷺ رأى جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى حينما كانت الأرواح والملائكة تغشاها، وتهبط عليها، وتحف من حولها(2).

وقد بين النّبيﷺ وصف هذه السدرة في قولهﷺ:(**وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلاَلُ هَجَرَ وَوَرَقُهَا، كَأَنَّهُ آذَانُ الفُيُولِ**) (3).

فالحديث وصف لنا الشجرة وصفاً دقيقاً، حيث شبه النبي ﷺ ثمرها بقلال هجر مما يدلل على كبر حجمها، أما أوراقها فشبهها بآذان الفيلة وهذا يدل على عظمها، وهكذا كل ثمار أشجار الجنة، فالاسم يشترك فقط مع أشجار الدنيا فيما أن الكيفية والحجم والطعم لا يعلم به الله؛فقد روي عن ابن عباس ﷺ أن النبيﷺ قال في الحديث القدسي: **قَالَ اللَّهُ: (أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**) (4).

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة، ح(2839) /ج4/ ص2183.

(2) محاسن التأويل، 65/9، بتصرف.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ح(3207) /ج4/ص109.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة،ح(3244) /ج4/ص118.

فلا يمكن أن يتخيل إنسان مدى حجم الثمار، ولا طعمها ولا ألوانها، ولايمكن أن يتصور العقل البشري أي كيفية لأي نوع من النعم في الجنة، وذلك لأنها من علم الغيب الذي يقتصر علمه على الخالق ﷻ، وقد أخفى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الوصف الدقيق لنعيم الجنة، في حين أنه بين لنا في بعض أنواع النعيم دون التفصيل في كيفيته؛ وذلك حتى يشوق عباده لما أعده لهم من طيبات.

2- شجرة الظل المدود:

وقد أخبرنا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بهذه الشجرة في القرآن الكريم حيث قال سبحانه: ﴿ **وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (28) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (29) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (30)** ﴾[الواقعة: **27- 30**]، وكما ذكرها النبيﷺ في حديثه الشريف حيث قال: **(إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ})**[1] ﴾،والمقصود بالممدود:"أي دائم باق لا يزول ولا تنسخه الشمس، والجنة كلها ظل لا شمس معه"[2]، وكان الظل لأصحاب اليمين ممدودا؛ لدوامهم على مواظبة الطاعات وملازمة العبادات[3]

3- شجر السدر المخضود:

فقد ادخر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لأصحاب اليمين الخير الكثير في الجنة، ومن هذا الخير أن أنعمهم بالسدر، ومن تفضل الله وكرمه على أهل اليمين أن جعل شجره منزوع الشوك حيث قال تعالى:﴿ **وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (28)** ﴾ [الواقعة:**27**- 28]، وتفسير ابن عباس ﷺ للسدر المخضود: قال :"هو الذي لا شوك فيه، وهو الموقر بالثمر"[4]، وهذا السدر لا شوك فيه لخلوص أعمال أهل اليمين من شوك المن والأذى والسمعة والرياء؛ فالجزاء من جنس العمل[5].

وقد بين النبي ﷺ أن الشوك الملازم لشجر السدر يحوله الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لثمر وهذا ما رواه الصحابي الجليل أبي أمامة حيث قال: **(أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ يَوْمًا فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ شَجَرَةً مُؤْذِيَةً وَمَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً تُؤْذِي صَاحِبَهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : وَمَا**

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح(3252) /ج4/ص119.
(2) تفسير القرطبي، 209/17.
(3) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، 381/2، بتصرف.
(4) تفسير ابن كثير، 525/7.
(5) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، 381/2، بتصرف.

هِيَ ؟ قَالَ : السِّدْرُ، فَإِنَّ لَهَا شَوْكًا . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : {فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ} يَخْضِدُ اللَّهُ شَوْكَهُ فَيُجْعَلُ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ ثَمَرَةٌ، فَإِنَّهَا تُنْبِتُ ثَمَرًا تُفْتَقُ الثَّمَرَةُ مَعَهَا عَنِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ لَوْنًا مَا مِنْهَا لَوْنٌ يُشْبِهُ الآخَرَ) (1).

فالجنة خلقت للنعيم الدائم الخالي من المنغصات من جميع أشكالها وأنواعها، فالشوك من الأمور التي تسبب الأذية للإنسان فكان من كمال اللذة والتمتع بنعيم الجنة أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد استبدل الشوك بالثمر، فنعيم الجنة مطلق لا يشوبه نقص في أي لذة من الملذات المدخرة لأهل اليمين؛ مكافأةً لهم لصبرهم على منغصات الحياة الدنيا .

4- شجر الطلح المنضود.

قال تعالى: ﴿ **وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (28) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (29)** ﴾ [الواقعة27- 29].

والطلح المنضود: "هو شجر الموز المنضد الموفور الثمر، مرتب من أسفله إلى أعلاه؛ تكرماً من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لأصحاب اليمين وذلك لإيفائهم وتوفيرهم في كسب الحسنات"(2). وقال ابن عباس: "يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل"(3).

5- الحدائق و الأعناب.

ولقد أخبرنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أنه مدخر لعباده المتقين أصناف كثيرة لا حصر لها من الحدائق والأعناب حيث قال: ﴿ **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا** ﴾ [النبأ: 31- 32].

يخبرنا الكريم ذو الفضل والجود سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أنه يكرم المتقين بخير كثير منقطع النظير، حيث أعدّ لهم البساتين ذات الأشجار المثمرة من النخيل وغيرها، وكذلك الأعناب والتنكير و في قوله: وأعنابا يدل على تعظيم حال تلك الأعناب(4).

---

(1) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الواقعة،ح(3778) /ج2/ص476، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(2) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، 381/2، بتصرف.

(3) تفسير ابن كثير، 526/7.

(4) انظر: مفاتيح الغيب21/31، تفسير ابن كثير308/8.

ثالثاً: عيون الجنة:

نعيم الجنة متنوع بشكل لا يمكن للعقل البشري أن يتصوره، ولكن نحن نتحدث عن ذلك التنوع كما ذكره الخالق ﷻ في القرآن الكريم، حيث وصف بعض نعيم الجنة حتى يشحذ الهمم؛ وكذلك حتى يكن ذكر ذلك النعيم سلوى لكل من هو مبتلى بأي نوع من البلاء، يقول الله ﷻ له إن صبرت واحتسبت فأنت مقبلٌ على خيرٍ سرمدي غير منقطع، ومن ذلك التنوع في عيون الجنة حيث قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** ﴾ [الحجر: 45].

قال الخازن في تفسيره لباب التأويل:" قيل يحتمل أن تكون هذه العيون غير الأنهار الكبار التي في الجنة، وعلى هذا فهل يختص كل واحد من أهل الجنة بعيون أو تجري هذه العيون من بعضهم إلى بعض؟ وكلا الأمرين محتمل فيحتمل أن كل واحد من أهل الجنة يختص بعيون تجري في جناته، وقصوره ودوره فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره وولدانه، ويحتمل أنها تجري من جنات بعضهم إلى جنات بعض لأنهم قد طهروا من الحسد والحقد"(1) ، ومن هذه العيون:

1- عين السلسبيل:

وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (17) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا(18)** ﴾ [الإنسان: 18].

معنى السلسبيل:" سميت العين بالسلسبيل؛ لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها، يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل، ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به أن ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه، وقيل أصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلا بالعمل الصالح"(2).

2- عين الكافور:

وقد جاء ذكر تلك العين في القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿**إِنَّ الأبرار يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً(5) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6)** ﴾[الإنسان: 5].

قال ابن عباس: "الكافور اسم عين ماءٍ في الجنة يقال له عين الكافور تمتزج الكأس بماء هذه العين وتختم بالمسك فتكون ألذَّ شراب، ولهذا قال تعالى: ﴿ **عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا**

(1) لباب التأويل في معاني التنزيل، 57/3.
(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 271/5.

تَفْجِيرًا ﴾ و**الكافور**:" طيبٌ معروف يستحضر من أشجار ببلاد الهند والصين، وهو من أنفس الطيب عند العرب، والمراد أن من شرب تلك الكأس وجد في طيب رائحتها، وفوحان شذاها كالكافور "[1].

3- عين التسنيم:

وهذه العين مذكورة في القرآن الكريم حيث قال تعالى:﴿ **وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (27) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ 28** ﴾ [المطففين: 27- 28].

سبب تسمية العين بالتسنيم:

"سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه، إما لأنها أرفع شراب في الجنة، وإما لأنها تأتيهم من فوق، على ما روي أنها تجري في الهواء مسنمة فتنصب في أوانيهم، وإما لأنها لأجل كثرة ملئها وسرعته تعلو على كل شيء تمر به وهو تسنيمه، أو لأنه عند الجري يرى فيه ارتفاع وانخفاض، فهو التسنيم أيضا، وذلك لأن أصل هذه الكلمة للعلو والارتفاع، ومنه سنام البعير وتسنمت الحائط إذا علوته"[2].

4- العينان الجاريتان:

يخبرنا الباري عزوجل عن هاتين العينين بقوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ **فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ** ﴾ [الرحمن: 50]، وردت هذه الآية في معرض الحديث عن النعيم الذي ينتظر المتقين من عباده، حيث أعدّ لهم في الجنة نعيم لا يضاهيه نعيم؛ فلهم من كرم وفضل الله جنتان، وتلك الجنتان كل واحدة فيها عينان تجريان.

كما قال ابن عباس: " تجريان ماء بالزيادة والكرامة من الله تعالى على أهل الجنة"[3]، "وتلك العينان حصباؤهما الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، وترابهما الكافور، وحمأتهما المسك الأذفر، وحافتاهما الزعفران، وقال أبو بكر الوراق: فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله ﷻ"[4].

---

(1) صفوة التفاسير، 468/3.
(2) مفاتيح الغيب، 93/31.
(3) تفسير القرطبي،178/17
(4) المرجع السابق، 17/ 179

5- العينان النضاختان:

هاتان العينان ورد ذكرهما في القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿ **فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ** ﴾[الرحمن :66]

والمقصود بنَضَّاخَتَانِ:" أي فوارتان بالماء لا ينقطعان وقال ابن عباس والضحاك: ينضخان بالخير والبركة على أهل الجنة، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ينضخان بالمسك والكافور على أولياء الله وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: ينضخان بالمسك والعنبر في دور أهل الجنة كطش المطر "[1].

رابعاً: فُرش أهل الجنة.

يكرم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أهل الجنة بأنواع شتى من الفرش؛ مكافأة لهم لصبرهم على خشونة العيش في الدنيا، فأمدهم في الجنة بفرش لينة مرصعة بالذهب، وهذا ما أخبرنا به الخالق ﷻ وفيما يلي بيان لهذه الأنواع كما ذكرها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

1- فُرش الإستبرق:

هذا النوع من الفرش أخبرنا به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في القرآن الكريم، حيث قال: ﴿ **مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ** ﴾[الرحمن: 54]، **والإستبرق:** هو أحسن ما غلظ من الحرير وأفخره [2]، وقال ابن عباس رضي الله عنه:" وصف البطائن وترك الظواهر؛ لأنه ليس في الأرض أحد يعرف ما الظواهر، وقيل: ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش؛ لأنه ذكر أن بطائنها من الإستبرق ولا بد أن تكون الظهائر خيراً من البطائن فهو مما لا يعلمه البشر "[3].

وصفة هذه الفرش أنها مرفوعة كما قال تعالى: ﴿ **وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ** ﴾ [الواقعة: 34]، والمقصود بذلك:" أي رفيعةِ القدرِ أو منضدةٍ مرتفعةٍ أو مرفوعةٍ على الأسرّة"[4].

---

(1) لباب التأويل في معاني التنزيل232/4.

(2) تفسير ابن كثير، 503/7، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط مؤسسة الرسالة، ط الأولى 1420هـ -2000 م، ص831، بتصرف.

(3) لباب التأويل في معاني التنزيل، 230/4.

(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 8/ 193.

2 – السُرر المرفوعة:

أبلغنا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أنه لم يكتفِ بأنه أكرم أهل الجنة فرش فقط، بل جعل لهم سرر وصفة هذه السرر بأنها مرفوعة حيث قال سبحانه: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴾[الغاشية: 13].

وسرر مرفوعة:" عالية ناعمة كثيرة الفرش، مرتفعة السمك، عليها الحور العين، وإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له، والارتفاع يوحي بالنظافة كما يوحي بالطهارة"(1).

3– النمارق المصفوفة:

فالسرر حتى يكتمل فراشها فلابد لها من وسائد للاتكاء والراحة، فأخبرنا الخالق ﷻ أنه زيّن هذه السرر المعدّة لأهل الجنة بوسائد مصفوفة حيث قال تعالى: ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾[الغاشية: 15].

والمقصود بالنمارق المصفوفة:" هي الوسائد والحشايا للاتكاء في ارتياح، قد صُفّ بعضها إلى بعض ويقال قد نُضد بعضها إلى بعض، أينما أراد أن يجلس جلس على موسدة واستند إلى الأخرى"(2).

4– الزرابيّ المبثوثة:

من كمال الزينة والراحة أن يبسط السجاد لأولياء الله في الجنة، وهذا ما تحدثت به الآيات بعد أن تحدثت عن الوسائد المنضدة حيث قال سبحانه: ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[الغاشية: 16].

والمقصود بالزرابي المبثوثة: "هي البسط الفاخرة المنقوشة، مبسوطة أو مفرقة في المجالس، وقيل: هي الطنافس التي لها خمل رقيق، كما وبين سيد قطب في الظلال وقال: "والزرابي هي البسط ذات الخمل «السجاجيد» مبثوثة هنا وهناك للزينة وللراحة سواء! وكلها مناعم مما يشهد الناس له أشباها في الأرض، وتذكر هذه الأشياء لتقريبها إلى مدارك أهل الأرض، أما طبيعتها وطبيعة المتاع بها فهي موكولة إلى المذاق هناك. للسعداء الذين يقسم الله لهم هذا المذاق! ومن اللغو الدخول في موازنات أو تحقيقات حول طبيعة النعيم– أو طبيعة العذاب– في الآخرة"(3).

---

(1) في ظلال القرآن، 6/ 3897، وتفسير ابن كثير، 8/ 386.

(2) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص509، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، 635/3. وفي ظلال القرآن، 6/ 3897.

(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 635/3، وأوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، ط المطبعة المصرية ومكتبتها، ط السادسة هـ – فبراير 1964 م، ص746، وفي ظلال القرآن،6/ 3897.

خامساً: طعام أهل الجنة.

1- كبد الحوت:

أول طعام يأكله أهل الجنة هو كبد الحوت، وهذا ما أخبرنا به النّبيﷺ عندما جاءه عبد الله ابن سلام يسأله عن ثلاث مسائل منها كانت سبب في إسلامه: منها أول طعام يأكله أهل الجنة فأجابه عن تلك المسألة قائلاً:(... **وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ** ...) (1).

المقصود بزيادة كبد الحوت:"هي القطعة المنفردة المتعلقة من الكبد، وهي في المطعم في غاية اللذة ويقال إنها أهنأ طعام وأمرأه"(2).

2. الفاكهة المتنوعة:

تخبرنا الآيات عن النعيم الذي ينتظر أهل السعادة في الجنة من الفاكهة المتنوعة التي لا يمكن للعقل البشري القاصر أن يحيط علماً بحجم وطعم تلك الفاكهة حيث قال تعالى: ﴿ **فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ** ﴾ [الرحمن: 52]، تصف لنا الآية الكريمة الجنتان المهيأتان للخائفين من مقام ربهم، أن بهما نوعان من الفاكهة وكل نوع يتفكه به ضربين يُستلذ بكل نوع من أنواعه، قيل: أحد الصنفين رطب والآخر يابس، لا يقصر أحدهما عن الآخر في الفضل والطيب(3).

وكذلك بيّن لنا القرآن الكريم بعض أسماء هذه الفاكهة ويظهر ذلك في قوله تعالى:﴿ **فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ** ﴾[الرحمن: 68]

من أسباب ذكر النخل والرمان في هاتين الجنتين:

1- "لأنهما متقابلان فأحدهما حلو والآخر غير حلو وكذلك أحدهما حار والآخر بارد وأحدهما فاكهة وغذاء، والآخر فاكهة، وأحدهما من فواكه البلاد الحارة والآخر من فواكه البلاد الباردة، وأحدهما أشجاره في غاية الطول والآخر أشجاره بالضد وأحدهما ما يؤكل منه بارز ومالا يؤكل كامن، والآخر بالعكس فهما كالضدين"(4).

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ح(3329) /ج4/ ص132.

(2) فتح الباري، ابن حجر، 273/7.

(3) فتح القدير، 169/5.

(4) مفاتيح الغيب، 29/ 380.

2- للدلالة على فضلهما وشرفهما على سائر الفواكه ولأنهما غالب فاكهة العرب[1]، ويحدثنا عبد الله ابن عباس ﷺ عن نخل الجنة قائلاً: "نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر، وكرانيفها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيه عجم"[2].

وكذلك تخبرنا الآيات الكريمة بأن فاكهة الجنة كثيرة ومتنوعة حيث قال تعالى: ﴿**وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ**﴾[الواقعة: 32].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآيات:" وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر لا تنقطع شتاءً ولا صيفاً، بل أكلها دائم مستمر أبدا، مهما طلبوا وجدوا، لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء"[3].

3. الفاكهة المنتقاة، ولحوم الطيور:

أخبرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن من طعام أهل الجنة فاكهة يتخيرون منها، وكذلك من طعامهم لحم الطيور مما تتمناه أنفسهم حيث قال تعالى: ﴿**وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ(20) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (21)**﴾[الواقعة: 20- 21].

قال الإمام الرازي:" تم تقديم الفاكهة على الطعام في هذه الآية الكريمة وذلك؛ لأن الحال في الجنة يشبه حال الشبعان في الدنيا فيميل إلى الفاكهة أكثر فقدمها، وهذا الوجه أصح لأن من الفواكه ما لا يؤكل إلا بعد الطعام"[4].

وكما ووصف لنا النّبي ﷺ تلك الطير التي يأكل منها أهل الجنة ويظهر ذلك جلياً في هذا الحديث الشريف:عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَا الكَوْثَرُ؟ قَالَ: (ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ - يَعْنِي فِي الجَنَّةِ - أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، فِيهَا طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الجُزُرِ» قَالَ عُمَرُ: إِنَّ هَذِهِ لَنَاعِمَةٌ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا)** [5].

---

(1) صفوة التفاسير،283/3.
(2) تفسير القرطبي، 17/ 186.
(3) تفسير ابن كثير،529/7- 530.
(4) مفاتيح الغيب، 29/ 396.
(5) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة طير الجنة، ح(2542) /ج4/ص680، قال الألباني : حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني.

فالحديث يبين لنا مدى ضخامة حجم الطيور التي يتناولها أهل الجنة فأعناقها مثل أعناق الإبل، وقد وصفها عمر ﷺ بأنها ناعمة، مما دفع النبي ﷺ بأن ينعت آكلها بالأنعم منها.

سادساً: آنية طعام وشراب أهل الجنة:

يخبرنا المولى ﷻ أن آنية أهل الجنة للطعام والشراب أنها من الذهب والفضة حيث قال: ﴿**يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[الزخرف: 71].

قال الفراء: "الكوب المستدير الرأس الذي لا أذن له، فقوله: ﴿**يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ**﴾ : إشارة إلى المطعوم، وقوله: ﴿ **وأَكْوَابٍ**﴾ إشارة إلى المشروب"(1).

سابعاً: لباس أهل الجنة:

المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بيّن فيه أن لباس أهل الجنة من الحرير بأنواعه، وذلك يظهر جلياً في قوله تعالى: ﴿**يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾[الدخان: 53].

قال ابن كثير:" {**سندس**}: رفيع الحرير، كالقمصان ونحوها، {**وإستبرق**}: وهو ما فيه بريق ولمعان وذلك كالرياش، وما يلبس على أعالي القماش"(2).

ثامناً: زينة أهل الجنة:

لا يكتمل اللباس إلا بالزينة التي تزيد من جماله وهذا ما بينته الآيات الكريمة حيث قال تعالى: ﴿**عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**﴾[الإنسان:21].

وتفسير هذه الآية على النحو التالي:"**عاليهم:** أى يعلو عليهم ويحيط بهم فيها تعظيماً لهم وتكريماً ثياب سندس هو رقيق من الديباج خضر على لون الحياة إذ حياتهم فيها سرمدية وإستبرق هو غليظ منه، **وحلوا أساور**:أي زينوا بأساور متخذة من فضة صافية عن الغش؛ بصفاء عقائدهم

(1) مفاتيح الغيب، 642/27.
(2) تفسير ابن كثير، 261/7.

عنه تتميماً لتنعمهم وبالجملة قد سقاهم ربهم بعد ما تمكنوا في مقعد الصدق عند المليك المقتدر شرابا من كأس المحبة ورحيق التوحيد"(1).

فهذه الآية تدعو الأنام لتنقية عقيدتهم من الشوائب، وما يعتري أفئدتهم وقلوبهم من الزيغ والحيد عن الصراط المستقيم؛ فمن استقام على التوحيد الخالص يتنعم بذلك النعيم الذي ينتظر كل موحد بالله، فهل من مشمر ليحوز على طيب العيش السرمدي الذي لا ينتابه أبداً أي كدر!!

تاسعاً:عطور وروائح الجنة:

الجنة تتأهب للصالحين وتفوح منها رياحين على مسافات بعيدة جداً، فسبحان من أوجدها للطائعين الموحدين، أما من تعدى حدود الله، وانتهك الحرمات فلا يشتم رائحة الجنة؛ فلأنه- تعدى واعتدى -جوزي بتعديه بحرمانه من أن يرح رائحة الجنة، وهذا ما أخبرنا به النبيﷺ حيث قال :(**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**) (2).

إذن يظهر لنا من خلال الحديث أن للجنة رائحة يشتمها من أراد الله له ذلك من مسافة بعيدة جداً، ولكن يختلف الناس في أعمالهم وتقواهم وصلاحهم، فتتفاوت بذلك الدرجات في إدراك رائحة الجنة؛ فيدركها من شاء الله من مسيرة ألف عام، ومن شاء من مسيرة أربعين عاماً، ويحتمل أن يكون المراد من الكل طول المسافة لا تحديدها(3).

قال صاحب مرقاة المفاتيح:" والمختص بهذا الوعيد إن كان من أهل الإيمان فلابد وأن يدخل الجنة وهذا ما جاء في النصوص الصحيحة، ولا يلزم من عدم وجدانها يوم القيامة فقط عدم وجدانها مطلقا، وبيان ذلك أن الآمنين من الفزع الأكبر وهي النفخة الأخيرة إذا وردوا القيامة يمدون برائحة الجنة تقوية لقلوبهم وأبدانهم، وتسلية لهمومهم وأشجانهم على مقدار حالهم في المعرفة وإيقانهم"(4).

عود الطيب والمسك من طيب الجنة:

ذكر لنا النبي ﷺ أن من طيب الجنة عود الطيب حيث قال:(**إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لا يَبُولُونَ وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَتْفِلُونَ وَلا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ**

(1) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، 471/2.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، ح(3166) /ج4/ص99.

(3) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، ط دار الفكر، بيروت – لبنان، ط الأولى، 1422هـ - 2002م، 6/ 2261.

(4) المرجع السابق، 305/1.

الأُلُوَّةُ–الأَلَنْجُوجُ[1]، عُودُ الطِّيبِ– وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ) [2].

ففي الحديث وصف لشتى أنواع المكرمات الإلهية لعباده من أهل الجنة، أولها حسن الهيئة لدرجة يصل هذا الحسن لجمال ضوء القمر ليلة البدر، فهم مطهرون من مختلف ما كان يطرأ لهم في الدنيا مما ينغص عليه من فضلات الجسم، أما عطرهم فهو عود الطيب.

عاشراً: قصور أهل الجنة:

يعكف الأثرياء من أهل الدنيا على بناء القصور ويزينوها بما يخيل لهم أنها أفضل ما يمكن للإنسان أن يؤتى به من ملذات الحياة الدنيا، غافلين عن المآل لهذه القصور المشيدة، ألا هو الزوال والفناء، فلو أُنفق هذا المال في مساعدة الآخرين وإغاثة الملهوفين لكان خيراً لهم وعوضهم ربهم بقصور مشيدة لا تفنى ولاتزول.

وفيما يلي بيان لأنواع من قصور الجنة كما أخبرنا بها النبي ﷺ:

1– بيوت وخيام من اللؤلؤ المجوف:

أ. وصف بيت السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الجنة:

وهذا ما أخبرنا به النّبيﷺ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد أكرم السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بيت في الجنة لا من ذهب لا تعب فيه ولا نصب؛ وذلك لمساندتها للنبيﷺ بمالها؛ لنصرتها له في أول دعوته فهي أول من آمن به وبما أنزل عليه فعن أبي هريرة رضي الله عنه **قَالَ : (أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ، أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ، فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ[3]، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ[4])** [5].

---

(1) **الألوة– الألنجوج، عود الطيب–** : "هو العود الذي يتبخر به ولفظ الألنجوج هنا تفسير الألوة والعود تفسير التفسير" فتح الباري، ابن حجر، 6/ 367.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ح(3327) /ج4/ص132.

(3) قصب: "قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف وقيل قصب من ذهب منظوم بالجوهر"، شرح النووي على مسلم، 200/15.

(4) صخب ولا ونصب:" الصخب:هو الصوت المختلط المرتفع، والنصب: المشقة والتعب" شرح النووي على مسلم، 200/15.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، ح(6354) /ج7/ص133.

ب. وصف خيام أهل الجنة:

كما وقد بين النّبيﷺ وصف لبيت المؤمن في الجنة قائلاً:(**إنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمِ الْمُؤْمِنُ فَلاَ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا**) [1].

وصف لنا النبيﷺ خيمة المؤمن بشكل مفصل بطولها وعرضها، وارتفاعها ووصفها بأنها من لؤلؤ مجوف وفيما يلي شرح ذلك كما شرحه الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم: أما الخيمة: فبيت مربع من بيوت الأعراب، وقوله ﷺ من لؤلؤة مجوفة: المثقوبة، عرضها ستون ميلاً في رواية عرضها ستون ميلاً فلا تعارض بين الروايتين؛ فعرضها في مساحة أرضها وطولها في السماء أي في العلو متساويان[2].

2- قصور من الذهب والفضة:

أخبرنا الحق تبارك وتعالى عن وصف مساكن أهل الجنة **حيث قال:** ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[التوبة: 72].

وقد بين ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية الكريمة ماهية هذه البيوت، بأنها من الذهب والفضة مستشهداً بقول النبيﷺ:(**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**) [3].

فهذه بشرى لكل من رأي القصور الفارهة، والبيوت المجصصة –التي لا يمكن له أن يحوز ولو على أدنى بيت منها في الدنيا– هوأن الله مدخر للموحدين المستقيمين على شرعه، المؤتمرين بأمره والمنتهين عن ما نهى عنه، جنان – بناؤها الذهب والفضة–، تلك الجنان الخالدة التي لا تفنى ولا تزول، بينما تلك البيوت والقصور الفارهة فمآلها إلى زوال، هذا وإن كان أصحابها من غير الموحدين فمآلهم إلى نار جهنم خالدين مخلدين، فهل نفعتهم تلك النعم، أو حتى ذهبت معهم إلى حيث مستقرهم السرمدي؟!.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب في صفة خيام الجنة، ح(7260) /ج148/8.

(2) شرح النووي على مسلم، 17/ 175، بتصرف.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ح(367) /ج1/ ص112.

فهذا الوصف لبيوت أهل الجنة يشحذ الهمم فيشمر عن ساعديه كل من تقاعس عن عبادة ربه، فينفض عن قلبه غشاوة التعلق في الدنيا وجمع الأموال وبناء العقارات، فإن نفض العبد الغشاوة عن قلبه وجاهد نفسه؛ تاركاً أهواءه وشهواته وما لذ في الدنيا من محرمات فيهجرها، فينصلح حاله ويتحول من جامع مال، إلى متصدق في وجوه الخير فيبني ويعمر المساجد وبيوت العلم من المدارس، ويتصدق على الفقراء والمحتاجين، فيعم الخير في البلاد، فتضمحل أعداد المعوزين في هذا الدنيا، ومن مُرّوج للشر في البلاد إلى داعٍ للخير؛ راجياً رحمة ربه مهرولاً لما ينتظره من نعيم دائم فينصلح حاله، فبصلاحه ينصلح المجتمع.

حادي عشر: الحور العين.

الحور العين من النعم التي تنتظر عباد الله الصالحين في الجنة، والتي أخبرنا عنها سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في القرآن الكريم حيث قال: ﴿ **وَحُورٌ عِينٌ (22) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (23) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24)** ﴾[الواقعة:22-24].

فهذه الآية تكمل لنا أصناف النعم المهيأة لأهل الجنة حين دخولها، فيشمل ذلك النعيم الحور العين وهن: " نساء بيض مشرقات الوجوه تبدو عليهم نضرة النعيم، وكأنهن اللآلئ صفاء وبهجة"(1). وقال ابن القيم:" والحور جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين"(2).

صفات الحور العين المذكورة في القرآن:

أ- الجمال والحياء:

من الصفات التي وصف بها الخالق ﷻ الحور العين هي الحشمة والحياء، لا يلتفتن لغير الزوج حيث قال تعالى: ﴿ **وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (48) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (49)** ﴾ [الصافات: 48-49].

قاصرات الطرف :"حابسات الأعين غاضات الجفون قصرن أعينهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم"(3)، **وفي العِين** ثلاثة أقوال:" أحدها: حِسانُ العُيون، والثاني: عِظام الأعيُن،

(1) تفسير المراغي، 137/27.

(2) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، ط مطبعة المدني، القاهرة، دون رقم طبعة، دون سنة النشر، ص218.

(3) معالم التنزيل في تفسير القرآن(تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الأولى 1420 هـ،31/4.

والثالث: كِبار العُيون حِسانُها، وواحدتُهنَّ عَيْناء"(1)، **كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ:** "قيل شبههن في اللون ببيض النعام، فإنه بياض خالطه صفرة حسنة، وكذلك قال امرؤ القيس: كبكر مقناة البياض بصفرة، وقيل: إنما التشبيه بلون قشر البيضة الداخلي الرقيق، وهو المكنون المصون تحت القشرة الأولى، وقيل: أراد الجوهر المصون"(2).

ب-الحب والألفة، والتماثل في السن:

الحور العين في الجنة خلقهن الله على عمر واحد، ونزع ما في صدورهن من الغيرة، وبذلك أخبرنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حيث قال: ﴿ **وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ** ﴾[ص: 25].

والمقصود بالأتراب: "متواخيات لَا تتعادين وَلَا تتباغضن، وَقيل: لَا تتغايرن، وقيل: بَنَات ثَلَاث وَثَلَاثِينَ سنة"(3).

فهذا هو حال أهل الجنة عموماً لا حسد ولا غيرة ولاحقد؛ حيث لا تقتصر فقط على الحور العين، أو على الزوجات من أهل الدنيا اللواتي يدخلن الجنة مع أزاوجهن؛ لأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نزع هذه الخصال البغيضة من القلوب حيث قال: ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** ﴾[الحجر: 37]،وغير أنهم متآلفين فيما بينهم، كما وأنهم على خلق رجل واحد لقول النبي ﷺ:(... **وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، مِنَ الْحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا**) (4).

ج- مستويات في السن مع الأزواج:

فسر أبو القاسم النيسابوري الأتراب بقوله:" أَتْرابٌ: على مقدار أسنان الأزواج"(5). ويظهر لنا من خلال ذلك أن أهل الجنة كلهم إناثهم وذكورهم على قدر موحد من العمر، حيث لا تفاوت بين الأعمار سوى الغلمان الذين أنشأهم الله وسخرهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لخدمة أهل الجنة.

---

(1) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط الأولى - 1422 هـ، 541/3.

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط الأولى - 1416 هـ، 2/ 192.

(3) تفسير القرآن (السمعاني)، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم ط دار الوطن، الرياض- السعودية، ط الأولى، 1418هـ- 1997م، 449/4.

(4) إيجاز البيان عن معاني القرآن، 2/ 716.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب أول زمرة تدخل الجنة، ح(7253) /ج8/ص147.

د- الطهارة والنقاء:

من كمال الجمال الذي منحه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لنساء الجنة أنهن مطهرات من الحيض والنفاس حيث قال تعالى: ﴿ **وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾[البقرة: 25].

قال صاحب الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: "**(لهم فيها أزواج)** من الحور العين والآدميات، **(مطهرةٌ)** عن كلِّ أذىً وقذرٍ ممَّا في نساء الدُّنيا ومن مساوئ الأخلاق وآفات الشَّيب والهرم **(وهم فِيها خالدون)**؛ لأنَّ تمام النِّعمة بالخلود"(1).

هذه هي الجنة بنعيمها، نعيم مطلق منزه عن الأذى وعن كافة أنواع المساوىء الخَلقية والخُلقية.

هـ- الطهر والعفاف:

لقد أخبرنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بصفات نساء أهل الجنة، ومنها أنهن لم يسبق لهن الزواج حيث قال: ﴿ **فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ** ﴾[الرحمن: 56].

قوله تعالى:" **لَمْ يَطْمِثْهُنَّ**" فيه ثلاثة أوجه:

"أحدها: لم يمسسهن، قال أبو عمرو: الطمث المس، وذلك في كل شيء يمس.

الثاني: لم يذللهن إنس قبلهم ولا جان، والطمث: التذليل، قاله المبرد.

الثالث: لم يُدْمِهُنَّ يعني إنس ولا جان، وذلك قيل للحيض طمث، قال الفرزدق: (دفعن إليَّ لم يطمثن قبلي ... وهن أصح من بيض النعام)" (2).

مضمون الأقوال الثلاثة واحد، وهو أن نساء الجنة لم يقربهن أحد قبل أزواجهن في الجنة، وهذا مما تقر به عين زوجها بأن تكون خالصة له؛ لم يسبق أحد أن مسها أو اقترب منها، وفي ذلك دلالة على الكرم الإلهي والجود الرباني لعباده المتقين.

فالشاب في الدنيا عندما يريد الزواج فإنه يفضل البكر التي يسبق لها الزواج عن الثيب، وبذلك حث النبيﷺ الشباب ويظهر ذلك في قوله لجابر بن عبد الله :(**هَلَّا جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ**) (3). فالبكر أكثر إخلاصاً ووفاءً للزوج؛ فلا تحن لزوج ولا لولد من زوج آخر كالثيب،

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط الأولى، 1415 هـ، ص96.

(2) النكت والعيون، 5/439-440.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب تزويج الثيبات، ح(5080) /ج7/ص5.

فحياتها أكثر استقراراً من الثيب، فإذا كان الدنيا هذا هو الحال، فكيف سيكون الحال في الجنة؟؟بالتأكيد أن المدخر لأهل الجنة دائماً الكمال المطلق في النعيم فلا يعتريه النقص من أي جانب.

ثاني عشر: خدم أهل الجنة:

لقد أنشأ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولدان لأهل الجنة؛ فيقومون على خدمتهم من تقديم للطعام والشراب وهذا ما دلنا عليه القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا**﴾[الإنسان: 19].

ويطوف عليهم مخلدون:" أي: يخدمهم ولدان مخلدون لا يهرمون ولا يموتون، "**إذا رأيتهم حسبتهم**" من صفاء ألوانهم لؤلؤا منثوراً"(1).

وفي كيفية تشبيه الولدان باللؤلؤ وجوه:

"**أحدها:** أَنَّهُم شُبِّهُوا في حسنهم، وصفاء ألوانهم، وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم في أنواع الخدمة– باللؤلؤ المنثورِ، ولو كانوا صفًّا لَشُبِّهُوا باللؤلؤ المنظوم أَلاَ ترى أَنَّهُ تعالى قال: وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ فإذا كانوا يطوفون كانوا متناثرين، **الثاني:** أَنَّ هذا من التشبيه العجيب لأَنَّ اللؤلؤ إذا كان متفرقاً يكون أحسنَ في المنظر لوقوع شعاع بعضه على بعض، **الثالث:** أَنَّهم شُبِّهُوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لأَنَّه أحسن وأجمل"(2).

فهذه الوجوه الثلاثة تحمل في طياتها أمراً واحداً وقاسماً مشتركاً فيما بينها، وهو اشتراك الولدان مع اللؤلؤ في الحسن والجمال البديع– ذلك الجمال الذي لا يمكن لأحد أن يتخليه.

وتبقى الكلمات عاجزة عن وصف ذلك النعيم؛ لعدم إدراك الغيبيات فلولا وصف القرآن لذلك النعيم ما عرفناه، وعلى رغم معرفتنا هذه إلا أننا نبقى جاهلين بحقيقة وكنه هذه النعم التي تنتظر أهل الجنة، فالكيّس الفَطِن من يجتهد ويعمل ليل نهار؛ فيسخر جوارحه وما يملك لعبادة خالقه في كل وقت وفي كل حين، فلا يفتر ولا يمل بل يبقى على أُهبة الاستعداد للقاء خالقه الكريم المنان؛ ليظفر بذلك النعيم المُعدّ له في الجنان، فحديثنا عن نعيم الجنة يعتبر غيض من فيض،

---

(1) لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط الثالثة، 665/3.

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ط الأولى – 1418 هـ، 532/5.

فهناك الكثير من الآيات القرآنية التي تحدثت عن النعيم في الجنة، وكذلك أحاديث النّبيﷺ، والكثير من المصنفات التي تحدثت عن الجنة، فمهمتي في هذا البحث التعريج عن وصف بعض أنعم الجنة، وذلك لإثراء موضوع البحث حتى تكتمل جوانب البحث من كافة ألفاظ الحديث" دعاء سيد الاستغفار موضوع البحث" حيث ختم النبيﷺ الدعاء بقوله :(**من قَالَهَا حِين يُمْسِي فَمَاتَ من ليلته دخل الْجنَّة، وَمن قَالَهَا حِين يصبح فَمَاتَ من يَوْمه دخل الْجنَّة).**

فكان لزاماً عليّ أن أبين بعض الأعمال التي تكن جسراً يمر بها العبد لجنات ربه، وكذلك بيان بعض ما ينتظر العبد من كنوز دفينة وجواهر متلألئة وذهب وفضة وكافور وسلسبيل، وكذلك حور عين وولدان مخلدون، مستشهدة بالآيات القرآنية التي وردت فيها الأنعم التي تنتظر أهلها في الجنة، وجمع ما استيسر من أحاديث النبيﷺ الصحيحة التي وصفت نعيم الجنة وشرحها من كتب الشروح.

الفصل الرابع

أثر مسائل العقيدة في ضوء حديث سيد الاستغفار على المجتمع.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر مسائل العقيدة في حديث سيد الاستغفار على الفرد.

المبحث الثاني: أثر مسائل العقيدة في حديث سيد الاستغفار على المجتمع

المبحث الأول
أثر مسائل العقيدة على الفرد

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر التوحيد على الفرد

المطلب الثاني: أثر الشكر على الفرد.

المطلب الثالث: أثر الاستغفار على الفرد.

المبحث الأول
أثر مسائل العقيدة على الفرد

المطلب الأول: أثر التوحيد الخالص على حياة الفرد:

عندما يتأمل المسلم دعاء سيد الاستغفار، يجده ذا دلالة واضحة على مسائل عقدية بالغة الأهمية في استقرار حياة العبد، وقد سبق لنا الحديث عن تلك المسائل، فأولها دلالة حديث سيد الاستغفار على أنواع التوحيد الثلاثة:الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

ومما لاشك فيه أن إيمان العبد بها بشكل متكامل يلعب دوراً مهماً في استقرار حياته، هذه الحياة التي تزخر بالمغريات والفتن والابتلاءات والشبهات والشهوات، فإن استقام العبد وآمن بالله وحده لا شريك له، وأنه سبحانه رب هذا الكون ومليكه، وأنه سبحانه ذا الأسماء الحسنى والصفات العلا، نجى في الدنيا والآخرة وفيما يلي بيان أثر هذا التوحيد على حياة الفرد:

أولاً: يُحقق إخلاص العبودية لله :

عندما يتأمل الإنسان في الكون وما حوله من نعم مسخرة له، مؤمناً بأن الله سبحانه هو الذي أوجدها من أجله وسخرها له يشعر بالرضا، ويزيد حبه لخالقه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وهذا الحب يشعل في النفس حماسة العمل من أجل إرضاء خالقها، وذلك بصرف كل أنواع العبادات له، سواء كانت هذه العبادت قلبية كالتوكل والمحبة والخوف والرجاء، أو كانت عملية كالصلاة والنذر والذبح، أو مالية كالزكاة، أو بدنية مالية كالحج والعمرة وما إلى ذلك من عبادات.

فهذه الحماسة تثمر ثماراً يانعة منها الإخلاص في القصد والتوجه للخالق، فلا يُدعى سواه ولا يُستغاث بسواه، ولا يُستعان بغيره فهذه الآية خير مثال على ما نقول حيث قال تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: 5].

"فالعبادة أعلى مراتب الخضوع تقرباً، ولا يستحقها إلا الله تعالى؛ لإنعامه بأعظم النعم، كالحياة والعقل والسمع والبصر، أو هي لزوم الطاعة، أو التقرب بالطاعة، أو المعنى " إياك نؤمل ونرجوا " {**نَسْتَعِينُ**}: على عبادتك أو هدايتك و أمروا بذلك كما أمروا بالحمد له"[(1)]

---

(1) تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي) ، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الملقب(بسلطان العلماء) ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط دار ابن حزم – بيروت، ط الأولى، 1416هـ/ 1996م، 92/1.

ثانياً: يُحقق السعادة والرضا:

عندما يعيش العبد في معية الخالق عزوجل مؤمناً به متوكلاً عليه، تفتح له أبواب الرزق من كل جانب، ويفوز بالخير المعدّ له من جنان النعيم، بخلاف من يعبد الله بدون يقين، فإنه عند أول مصيبة يتعرض لها تجده يعترض على قضاء الله وقدره حيث قال تعالى عن مثل هؤلاء : **﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾** [الحج: 16]،

فهناك صنف من الناس إيمانه متذبذب كأنه يقف على حفة جبل، فإن أصابه خير من الدنيا اطمئن لهذا الخير وثبت، أما إذا أصيب بمصيبة في جسده أو في معيشته هوى و سقط سقوطاً لا رجوع له بعد إليه ولا حركة له معه؛ فإن الإنسان مطبوع على المدافعة بكل عضو من أعضائه عن وجهه فلا يمكن منه إلا بعد نهاية العجز، والمعنى أنه رجع إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر أو الشك رجوعاً متمكناً(1).

وعلى النقيض فالمؤمن الصادق مهما ضاقت عليه الدنيا من قلة المال وفقد الأحباب، فتجده في شتى الأحوال شاكراً لربه راضياً بقضائه وقدره، وقد وصف لنا هذا الحال للمؤمن الصادق نبينا محمدﷺ حيث قال:**(عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)** (2).

وقد ضرب الشعب الفلسطيني مثلاً رائعاً في الصبر على البلاء، فمنذ أكثر من نصف قرن وهو يعاني من ظلم الأعداء، دون أن يكل أو يمل ولو ساعة من نهار، متوكلين على رب العباد مستعينين بقول ربهم: **﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾**[آل عمران: 173].

ثالثاً: يُحقق الطمأنينة والسكون.

يقول الشهيد عبد الله عزام(3):" ومن علم أن هذه الدنيا ليست النهاية، والجزاء ليس في هذه الأرض، فما فاته في الدنيا سيعوض عليه في الآخرة، والحياة الدنيا بالنسبة للآخرة كساعة من

---

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 17/13.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرقاق، باب المؤمن أمره كله خير، ح(7610) /ج8/ص227.

(3) الدكتور الشهيد عبد الله عزام: هو عبد الله يوسف عزام، ولد سنة 1941 في قرية سيلة الحارثية، في جنين بفلسطين، حصل الشيخ على الماجستير في عام 1969، وقد اشترك الشيخ في تلك الفترة بعدة عمليات جهادية كان أشهرها معركة الحزام الأخضر عام 1969 ومعركة 5 حزيران سنة 1970، وحصل على=

نهار، وهذا كله يسكب الطمأنينة في قلبه، والسعادة في أعماقه، وهذا يجعله يترفع على الصغائر وسفساف القول والعمل، ويهتم بما عظم من الأمور "(1).

رابعاً: يمنح العبد كرماً وعدلاً:

عندما ترسخ العقيدة السليمة في قلب العبد ويتجذر الإيمان الصادق في سويداء قلبه، يُمسى قانعاً بما مُنح من رزق راضياً بما أعطاه الله، وقد نزعت من قلبه صفة الشح والبخل، فعندما تنزع صفة البخل والشح من قلبه؛ تراه في شتى المجالات معطاءً لأنه أيقن بإيمانه الراسخ أن المنعم والمتفضل عليه بالنعم هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فإن دُعي لشهادة حق لبى ولو كلفه ذلك حياته وكل ما يملك في هذا الكون؛ لأنه علم أن الله سيسأله عن تلك الشهادة يوم يلقاه، فقدم رضى ربه على كل مغريات هذه الدنيا الفانية التي لا تساوي عند ربها جناح بعوضة؛ قد نُزعت بذلك خصلة الخوف والخشية من الناس، فتبقى خشية الله وحده هي المسيطرة؛ لأن مثل هذه النفوس فقهت معنى قول الله تعالى: ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾[الأحزاب: 37]، فالمؤمن الحقّ لا يخشى أحداً في الكون ما دام أنه مؤمن بالقضية التي من أجلها عاش، ولأجلها يضحى بماله ونفسه رخيصة؛ وهي أن تبقى راية الإسلام خفاقة على ربوع المعمورة.

خامساً: يُنير دياجير القلوب:

لقد شبه الإمام علي بن أبي طالب الإيمان باللَمظة(2) فقال:" إن الإيمان ليبدو لَمظة بيضاء في القلب، كلما ازداد الإيمان ازدادت اللَمظة"(3).

=درجة الدكتوراة من مصر في عام 1973م،، له تاريخ مشرف في الجهاد في أفغانستان ضد الاحتلال الروسي، من مؤلفاته: العقيدة وأثرها في بناء الجيل، آيات الرحمن في جهاد الأفغان، بشائر النصر، استشهد في باكستان وهو متجه إلى مسجد سبع الليل، فحضر لإلقاء خطبته يوم الجمعة بتاريخ 25 ربيع الآخر عام 1410هـ الموافق 24 نوفمبر عام 1989م فانفجرت به سيارته التي لغمها له أعداءه . انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية، عبد الله عقيل بن سليمان العقيل، تقديم الشيخ محمد مهدي عاكف، والشيخ مصطفى مشهور، دار التوزيع والنشر الإسلامية مصر – القاهرة، ط الثالثة 2006م، ص703، وانظر موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، http://ar.wikipedia.org/wiki، بتاريخ2014/10م.

(1) العقيدة وأثرها في بناء الجيل، عبد الله يوسف عزام، ط مركز شهيد عزام الإعلامي بيشاور– باكستان، ط الأولى، دون سنة النشر، ص114.

(2) اللمظة: قال الأصمعي: اللمظة مثل النكتة ونحوها من البياض، ومنه قيل: فرس ألمظ، إذا كان بجحفلته شي من بياض، والمحدثون يقولون" لَمظة" بالفتح، وأما كلام العرب فبالضم، مثل شُبهة ودُهمة وخُمرة، تفسير القرطبي، 280/4.

(3) تفسير القرطبي، 280/4.

فهذا الضياء والنور يضفي على القلب يقظة دائمة، واليقظة هذه تضفي على الجوارح صحوة فإذا كانت الجوارح في صحوة دائمة، فلا يطلق لبصره العنان يجوب في الأرجاء دون تقويم وتصحيح مسار، وكذلك لا يسمح لأذنه أن تسمع إلا ما يرضى ربه، ولا تمس يده ما حرم ربه أو أن تمتد لما يملكه غيره، ولا يسمح للسانه أن يتفوه بكلمة إلا بعد أن يمررها على قلبه وعقله؛ فإن وجدها خيراً نطق بها وإن كانت الأخرى صمت، وبهذا حثنا رسولنا الكريم محمدﷺ بذلك حيث قال:(.... **وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**) (1).

فقد كان الإيمان هو المقوم للسلوك والضابط للحركات والكلمات؛ فيسلم العبد في حياته وبعد مماته، ففي الدنيا يكسب حب الآخرين، ويوم القيامة يُحشر مع المتقين، كل ذلك له لأنه سار بنور ربه حيث قال: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ** ﴾[النور: 40].

سادساً: يُكسب القلب جرأة وحماسة:

عندما تشتعل جذوة الإيمان في القلب تُكسب العبد جرأة وإقداماً، فتراه في ميادين الجهاد مجاهداً مرابطاً على الثغور، يقتحم الحصون على أعدائه دون خوف أو وجل قد ملأ قلبه الإيمان واليقين بأن ما أصابه لم يكن ليخطأه وما قد أخطأه لم يكن ليصيبه وهذه هي وصية النبيﷺ لعبد الله بن عباس حيث قال:(**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**) (2).

سابعاً: العقيدة الصحيحة قوة للقلب وقوت له(3):

هذه العقيدة التي أمدت قلب بلال بن رباح وغيره من الصحابة المعذبين قوة وثباتاً؛ في وجه أعتى قوى الظلم آنذاك، وكذلك هي التي أمدت قلب آسيا امرأة فرعون وكذلك أمدت قلب ماشطة ابنته قوة وثباتاً، وبها صمد سيدنا إبراهيم عليه السلام في وجه النمرود، والتي بها خلدت ذكرى ثبات أصحاب الأخدود، فلهؤلاء أشباه ونظائر فيما مضى من الزمن وربما فيما يأتي – أيضا – إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ح(6018) /ج8/ص11.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ح(2512) /ج4/ص665.

(3) في سبيل العقيدة الإسلامية، عبد اللطيف بن علي بن أحمد بن محمد السلطاني القنطري الجزائري، ط دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة – الجزائر، ط الأولى، 1402 هـ – 1982 م، ص43.

فالفضل يرجع في التمسك بالحق والعقيدة الإسلامية والتضحية بالأنفس، إلى أولئك الأبطال الشجعان الأوفياء لعقيدتهم ودينهم، وهم الذين حضروا في بداية معركة التوحيد مع الشرك حين تغلب الحق على الباطل بقوة العقيدة الصحيحة والإخلاص في العمل ونصر الله المبين، فتولى الشرك مهزوماً مدحوراً وفي هذا العبرة للمعتبرين[1].

المطلب الثاني: أثر الشكر وفضله على العبد:

لقد تضمن حديث سيد الاستغفار شكر العبد ربه على النعم التي أُسبغت عليه، فقولهﷺ **(أَبُوء لَكَ بنعمتك عَلَيّ وأبوء بذنبي)** ففي هذه العبارة اعترافاً من العبد بنعمة الله عليه، فعندما يشكر العبد ربه يحوز على مكرمات عظيمة، ويقطف ثماراً يانعة وفيما يلي بيان لتلك الثمار:

أولاً: يحقق الشكر رضا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ:

لقوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ** ﴾[الزمر:7]، فالله يبين لنا في هذه الآية أن الشكر ضد الكفر، كما ذكر ذلك في قوله: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾[الإنسان: 3]، فقد عبر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن الهدى بالشكر، لأن الشكر أقرب خاطر يرد على قلب المهتدي، فإذا لم يشكر فهو الكفور[2].

ثانيا: يكسب النفس السعادة والطمأنينة:

والشعور بالراحة النفسية، فقد عدّ ابن القيم الشكر سبباً من أسباب السعادة فقال:" السعادة بثلاث: شكر النعمة، والصبر على البلاء، والتوبة من الذنب[3]"، والتحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة يدفع الله به الهم الغم[4].

---

(1) انظر: في سبيل العقيدة الإسلامية، ص 43-45

(2) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، ط دار الشروق - بيروت- القاهرة، السابعة عشر - 1412 هـ،6/ 3780.

(3) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم، تحقيق: سيد إبراهيم، ط دار الحديث – القاهرة، ط الثالثة، 1999 م، ص 5.

(4) انظر: الوسائل المفيدة للحياة السعيدة،لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، ط الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، ط الثانية، 1409 هـ، ص 21.

ثالثاً: الشكر من أسباب زيادة، ودوام النعم:

لقوله تعالى:﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[سورة إبراهيم : 7]، فالزيادة لكل نعمة ألحقها صاحبها شكراً؛ إن من شكر الله على ما رزقه وسّع عليه في رزقه، ومن شكره على ما أقدره عليه من طاعته زاد في طاعته، ومن شكره على ما أنعم عليه من صحة زاده الله صحة، إلى نحو أولئك من النعم[1]، وكما أن الشكر سبباً لدوام النعمة، فعلى النقيض منه، فإن جحود النعمة سيكون سبباً لزوالها، فقد قال الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله:" ومما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر، أن يعرف صاحبها أن النعمة إذا لم تشكر زالت"[2].

رابعاً: الشكر يحقق الثناء والمدح من الله:

لقوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾[الإسراء:3] فكان جزاء سيدنا نوح عليه السلام، أن نجاه الله ومن معه من المؤمنين؛ لأنه شكر نعمة الله عليه .

خامساً: الشكر سبب للنجاة من عذاب الله:

حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً ﴾[النساء:147] ، أي أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يمكن أن يعذب من شكر الله على نعمه.

سادساً: الشكر يحقق الظفر بمدح الخالق عزوجل:

الشاكر يحبه وربه ويمدحه خاصة أنه تعالى أخبرنا أن الشاكرين هم القلة من عباده حيث قال: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَاب وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[سبأ:13]

" فقد كان سيدنا داوود عليه السلام يشكر الله بكثرة العبادة والصلاة ."حكي عن داود عليه السلام أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى[3].

---

(1) انظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي ت: 1371هـ، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، ط الأولى هـ 1365 هـ – 1946 م،130/13.

(2) مختصر منهاج القاصدين، 50/4.

(3) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ) ، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط دار الكلم الطيب،بيروت، ط لأولى، 1419 هـ – 1998 م.

سابعاً: الشكر علاج للكبر والطغيان:

قال تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (6) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾[إبراهيم: 6]، فقد أمر سيدنا موسى عليه السلام قومه بذكر نعمة الله عليهم؛ حتى لا ينسوا المنعم المتفضل عليهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَى؛ وليستحيوا عن مخالفة أمره وترك طاعته وعبادته، فيكون ذلك بمثابة رادع لهم عن الكبر والطغيان[1].

فالإنسان إن توالت عليه النعم بطر وتجبر في الأرض، لكنه إن تذكر أن خالقه هو الذي أنعم عليه وتفضل، ذل وانكسر وأقر بضعفه أمام قوة الحق تبارك وتعالى.

ثامناً: الشكر علاج لجحود العبد:

فعندما ينظر المرء إلى ما عند الآخرين ويتعامى عن خير الله عليه، فإن هذا من شأنه أن يجعله ساخطاً على حاله، غير راضٍ عن ربه.. قال ﷺ:(**إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ**) [2].

فإن النظر إلى من هو دون العبد في المال والخلق؛ يذكره بفضله عليه؛ وهذه دعوة للرضا وعدم التذمر من حاله، فقد قال ابن قدامة المقدسي:" كما روى أن بعضهم شكا فقره إلى بعض أرباب البصيرة، وأظهر شدة اغتمامه بذلك، فقال له : أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال لا، قال : أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا، قال: أيسرك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفاً ؟ قال : لا، قال : أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف ؟ قال : لا، قال : أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفاً"[3].

فعلى العبد دائماً أن يشكر الله تعالى، ويعلم أن كل المخلوقات على وجه الأرض، ما خلقت إلا لحكمة، فهي تشكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فروي عن داوود عليه السلام أنه عَجِبَ من خلق دودة فماذا

(1) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، لنعمة الله بن محمود النخجواني،400/1، ط دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، ط الأولى، 1419 هـ – 1999 م.

(2) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب لِيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَلاَ يَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، حديث رقم 6490،8/102.

(3) مختصر منهاج القاصدين،4/47.

كان ردها عليه؟؟ فأنطقها الله فقالت:" يا داود، أتعجبك نفسك، فوالذي نفسي بيده، لأنا على ما أتاني الله من فضله أشكر منك على ما أتاك الله من فضله "(1).

المطلب الثالث: أثر الاستغفار على الفرد:

حديثنا هو سيد الاستغفار فمجمل الحديث عن الاستغفار، فكان لزاماً علي أن أبين فضل الاستغفار وأثره على حياة العبد المُستغفر، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: الاستغفار سببٌ لمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات.

يخبرنا المولى ﷻ أن من زل وأذنب، ثم تاب من ذنبه، غُفر له فقد قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾[النساء:110].

والمراد بالسوء: القبيح الذي يسوء به أو يظلم نفسه بفعل معصية من المعاصي، أو ذنب من الذنوب التي لا تتعدى إلى غيره ثم يستغفر الله يطلب منه أن يغفر له ما قارفه من الذنب: يجد الله غفوراً لذنبه رحيماً(2).

كما أن هناك العديد من الأحاديث النبوية تخبرنا بذلك أيضا نذكر منها:

- عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ: " **يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِى، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِى، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً** "(3).
- وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: " **يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ** "(4).

---

(1) الشكر، ابن أبي الدنيا، ص17.

(2) فتح القدير، (1/ 592) .

(3) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، ح (3540)/ ج 5/ ص 548، قال الألباني: صحيح.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل،ح(1145)/ج2/ ص53.

ثانياً: الاستغفار سببٌ للحصول على النعم وزيادتها.

لقد نصح سيدنا هود عليه السلام قومه بهذه النصيحة وهي الاكثار من الاستغفارحيث قال تعالى على لسانه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[هود:52]،أي :"بعد ما ازدادوا الإصرار والاستكبار وأخذهم الله أولاً: بعقم الأرحام والأمطار فاضطروا، قال هود عليه السلام: يا قوم استغفروا ربكم من فرطاتكم وهفواتكم واطلبوا المغفرة والنجاة منه سبحانه، ثم توبوا واسترجعوا إليه نادمين مخلصين: يرسل السماء عليكم بأمر الله وبمقتضى إرادته مدراراً مغزاراً وأمطاراً كثيرة، على سبيل التتابع والإدرار تفضلاً عليكم وامتناناً، ويزدكم قوة إلى قوتكم:أى يضاعف أولادكم التي هي قوة ظهوركم"[1]

فهذا لا يعني أنها تخصهم لوحدهم، وإنما هي نصيحة ودعوة لكل إنسان على وجه الأرض إلى قيام الساعة، لأن الإنسان بالمعصية يحرم الرزق، وبالاستغفار يجلب كل منفعة في الدنيا والآخرة، فهذه حكمة الله في خلقه– وهذا من عدله– أن يعطي المطيع ويحرم العاصي؛ لعل العاصي يعود إليه ويتوب من ذنوبه، إن علم وأيقن أن سبب حرمانه من العطاء هو البعد عن خالقه، فإن سأل سائل: كيف يعطي الله الكفار في الدنيا من النعيم الكثير من أموال وجنات، بل أنهم يحكمون العالم بأموالهم؟!!، نقول لهذا السائل: بأن هذا العطاء إنما حصل لهم في الدنيا لأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة؛ لذلك أعطاهم الله هذه النعم، ولكنهم في الآخرة من الخاسرين؛ ولأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، كما أخبرنا النبي ﷺ حيث قال:" **الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**"[2]، **والمعنى:**" أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم، والراحة الخالصة من المنغصات، وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد"[3].

لذا يجب على كل عاقل ألا يغتر بهذا النعيم الزائل، وينبهر فيما عند الكفار، بل عليه أن يعي جيداً الغاية التي خلقه الله من أجلها، ألا وهي: العبادة وعمارة الأرض، لا التمتع بما هو محرم، ونسيان العقوبة التي تلحق كل عاصٍ، وهذه العقوبة تتمثل في الحرمان من الرزق في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة، وهذا عقاب من لم يتبْ من ذنوبه من قبل وفاته.

---

(1) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ط دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، ط الأولى، 1419 هـ – 1999 م،(1،356) .

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، ح (2956)/ ج4/ ص2272.

(3) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،(93/18) .

ثالثاً: الاستغفار بلسمٌ وعلاجٌ؛ لمنح العبد السعادة وراحة البال .

قال تعالى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [هود:3].

والمعنى: يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى أي: يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية، من عيشة واسعة، ونعم متتابعة، إلى وقت وفاتكم؛ إن استغفرتم وتبتم من ذنوبكم[1].

رابعاً: الاستغفار سلاحٌ لإغاظة الشيطان.

فالشيطان لعنه الله أقسم لإغواء الناس، لذلك قال الله تعالى: ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[ص:82]، والإغواء يكون باقتراف ما حرّم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فإذا أذنب العبد فإنه بذلك يكون قد أفرح الشيطان؛ لأنه بالنسبة له(أي للشيطان) قد وقع ما تمنى وحصل له ما أقسم عليه، فإن تاب العبد واستغفر اغتاظ الشيطان.

خامساً: الاستغفار يثمر قلة السيئات في الصحف.

ومما يدلل على ذلك قول النبي ﷺ:(**طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا**) [2]، فالبشرى بالثواب العظيم لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً؛لأنه بالاستغفار تمحى الخطيئة، وتبدل حسنة، وفي هذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله : سألت شيخ الإسلام ابن تيميه فقلت : يسأل بعض الناس : أيما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار ؟ فقال: " إذا كان الثوب نقياً فالبخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دنساً فالصابون والماء الحار أنفع له "[3].

---

(1) انظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى – 1418 هـ،(73/6) .

(2) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب الاستغفار، ح (3818) ج2/ ص1254، قال الألباني: صحيح.

(3) الوابل الصيب، (ص92) .

المبحث الثاني
أثر مسائل العقيدة على المجتمع.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر التوحيد على المجتمع.

المطلب الثاني: أثر الشكر على المجتمع.

المطلب الثالث: أثر الاستغفار على المجتمع.

المبحث الثاني
أثر مسائل العقيدة على المجتمع

مقدمة:

سبق وأن ذكرنا أن حديث سيد الاستغفار يدلل على قضايا جوهرية مهمة في حياة العبد، أشهرها وأهمها دلالته على التوحيد، وعلى دوام اعتراف العبد بفضل الله عليه، والمواظبة على الاستغفار، فهذه الأمور العظيمة لها أبعاد وآثار إيجابية على حياة الشعوب والأمم،؛ لذا نجد أن الأمة المستقيمة الملبية لنداء خالقها والمتبعة لنبيها، يمنحها خالقها منعة وقوة وتماسكاً وأمناً ورخاءً، وفيما يلي بيان آثار المسائل العقدية في ضوء حديث سيد الاستغفار على المجتمع:

المطلب الأول: أثر التوحيد على المجتمع.

أولاً: تنقية المجتمع من الشركيات القولية:

لاشك أن العقيدة الإسلامية تعد حصناً حصيناً للأمم والشعوب من الانحراف عن نهج نبيها، فما ظهرت الشركيات في الدول الإسلامية إلا بعد أن انحرفت العقول عن مسارها و نهجها القويم، فظهرت أقوال وأفعال تنبئ عن سوء فهم للعقيدة الصحيحة، أو جهل بما تتضمنه

وفيما يلي بيان بعض الأقوال والأفعال التي تتنافى مع العقيدة الصحيحة:

الأقوال التي تخالف العقيدة:

هناك العديد من الأقوال التي تتردد كثيراً على ألسنة العامة تحمل في طياتها شركاً، وهي:-

1- التوسل بذوات الأشخاص:

قبل الحديث عن حكم التوسل لابد من بيان معناه في اللغة والاصطلاح:

أ. **التوسل لغة:**" قال صاحب القاموس المحيط:"وَوَسَّلَ إلى الله تعالى توسيلاً: عَمِلَ عَمَلاً تَقَرَّبَ به إليه، كتَوَسَّلَ"(1).

ب. **التوسل اصطلاحاً**: لقد ورد ذكر الوسيلة في القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوااتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[المائدة:35]، وقد

---

(1) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي،ط مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، ص1068.

فسر ابن كثير رحمه الله الوسيلة بقوله: "والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود"[1].

ج. حكم التوسل:

لقد بين الإمام ابن تيمية رحمه الله حكم التوسل بالنّبيﷺ بشكل مفصل فقال:" فلفظ التوسل به يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين، ويراد به معنى ثالث لم ترد به سنة: فأما المعنيان الأولان – الصحيحان باتفاق العلماء – **فأحدهما:** هو أصل الإيمان والإسلام وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته، **والثاني:** دعاء هـ وشفاعته، فهذان جائزان بإجماع المسلمين، فهذان جائزان بإجماع المسلمين، **والثالث:** هو التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته، وهذا المعنى مخالف لما فعله الصحابة في حياة النبي وبعد مماته"[2].

فالمأثور عن الصحابة أنهم كانوا يتوسلون بدعاء النبيﷺ ، ومثال ذلك: أنهم كَانَوا إِذَا قَحَطُوا[3]اسْتَسْقَوا بِالْعَبَّاسِ بْنِ عبد المطلب، فيقول عمر بن الخطاب " اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ[4].

فما دام أن التوسل بذات النبيﷺ مخالف لما فعله الصحابة، فهو من التوسل الممنوع، فإذا كان هذا التوسل بالنبيﷺ ممنوعاً على قدر منزلته من الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فبالتالي يكون التوسل بذوات الأشخاص من غير الأنبياء محرماً، فيقول أبو يزيد البسطامي[5]:" استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق"[6]

ومن أمثلة التوسل المحرم (التوسل بذوات الأشخاص) قول البعض داعياً" اللهم بحق نبيك أو بجاهه أو بقدره عندك عافني واعف عني" أو" متوسلين إليك بصاحب الوسيلة والشفاعة أن تنصر الإسلام والمسلمين"[7].

---

(1) تفسير ابن كثير، 103/3.

(2) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ابن تيمية، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، ط مكتبة الفرقان – عجمان، ط الأولى 1422هـ – 2001هـ، ص86.

(3) قحطوا: احتبس الماء ولم تمطر السماء، انظر: عمدة القاري، 29/7.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، ح(1010) /ج2/ ص27.

(5) أبو يزيد البسطامي: اسمه طيفور بن عيسى بن علي، أحد مشايخ الصوفية، وكان جده مجوسياً فأسلم، توفي سنة إحدى وستين ومائتين، انظر: البداية والنهاية، 42/11.

(6) مجموع الفتاوى، 330/1.

(7) موسوعة الألباني في العقيدة، محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: التراث والترجمة، ط مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية صنعاء – اليمن، ط الأولى، 1431 هـ – 2010 م، 579/3.

وهناك أنواع للتوسل المشروع:

1- "التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى، أو صفة من صفاته العليا، كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم، اللطيف الخبير أن تعافيني.

2- التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قلم به الداعي، كأن يقول المسلم: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، وإتباعي لرسولك اغفر لي.

3- التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح، كأن يقول المسلم في ضيق شديد ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تبارك وتعالى، فيجب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله، فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى، الفضل والعلم بالكتاب والسنة، فيطلب منه أن يدعوا له ربه، ليفرج عنه كربه، ويزيل عنه همه"[(1)].

يقول الإمام الألباني معلقاً على هذه الأنواع:" وأما ما عدا هذه الأنواع من التوسلات ففيه خلاف، والذي نعتقده وندين الله تعالى به أنه غير جائز، ولا مشروع، لأنه لم يرد فيه دليل، تقوم به الحجة"[(2)].

2- الحلف بغير الله:

قبل الشروع ببيان حكم الحلف لابد من بيان معناه في اللغة والاصطلاح:

أ. **الحلف لغة:**"حَلَفَ يَحْلِفُ حَلْفاً، ويُكْسَرُ، وحَلِفاً، ككَتِفٍ، ومَحْلوفاً ومَحْلوفَةً، ويقالُ: لا ومَحْلوفائِهِ، بالمَدِّ، ومَحْلوفَةً باللهِ، أي: أَحْلِفُ مَحْلوفَةً، أي: قَسَماً"[(3)].

ب. **الحلف اصطلاحاً:**" تحقيق الأمر أو توكيده بذكر اسم الله تعالى أو صفة من صفاته"[(4)]

ج: حكم الحلف بغير الله:

ولقد أجابنا الإمام ابن تيمية رحمه الله على حكم الحلف بغير الله قائلاً:" وقد اتفق العلماء على أنه لا تنعقد اليمين بغير الله تعالى وهو الحلف بالمخلوقات؛ فلو حلف بالكعبة أو بالملائكة؛ أو بالأنبياء أو بأحد من الشيوخ أو بالملوك لم تنعقد يمينه؛ ولا يشرع له ذلك؛ بل ينهى عنه إما

---

(1) التوسل أنواعه وأحكامه، محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: محمد عيد العباسي، ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، ط الطبعة الأولى 1421 هـ – 2001 م، ص30-38.

(2) المصدر السابق، ص43.

(3) القاموس المحيط، 801/1.

(4) روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: زهير الشاويش، ط المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– عمان، ط الثالثة، 1412هـ / 1991م، 3/11.

نهي تحريم؛ وإما نهي تنزيه. فإن للعلماء في ذلك قولين. والصحيح أنه نهي تحريم. ففي الصحيح عن النبي ﷺأنه قال: **(مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ)** [1]

وقال ابن مسعود: " لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً"[2]؛ لأن

الحلف بغير الله شرك والحلف بالله توحيد، وتوحيد معه كذب خير من شرك معه صدق ولهذا كان غاية الكذب أن يعدل[3].

فالحلف بغير الله منهي عنه؛ لما يحمل في طياته شركاً حيث يجعل الحالف المحلوف به بمنزلة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لكونه أعطاه تعظيماً فوق منزلته ومكانته؛ فلولا اعتقاده بعظمة المحلوف به ما حلف، وللأسف الشديد نجد الكثير ممن غاب عنهم ذلك الحكم –تحريم الحلف بغير الله–، يحلفون بآبائهم وأمهاتهم، وشرفهم، وبالكعبة المشرفة، وغير ذلك من صيغ الحلف بغير الله، وينبهنا الشيخ محمد عبد الوهاب في كتابه فتح المجيد لخطورة الحلف بغير الله قائلاً: " فتنبه لهذه الأمور؛ فإنها من المنكر العظيم الذي يجب النهي عنه والتغليظ فيه؛ لكونه من أكبر الكبائر"[4].

د. بعض الأقوال والأمثال الشعبية المخالفة للعقيدة الإسلامية الصحيحة:

– **[اسم النّبي حارسه وصاينه] :**

وجه الخلل في هذا القول أنه من الأقوال الشركية والأمثال الكفرية؛ فإن اسم النّبي ﷺ لا يصون ولا يحفظ ولا يحرس وإنما الحافظ، وخير الحافظين الله–جل في علاه– قال تعالى: ﴿ **فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [يوسف:64].

– **[من علمني حرفاً صرت له عبداً] :**

تقدير العلماء فرض، لكن لا يصل إالى العبودية لهم، فالعبودية لله– تعالى– وحده.

– **[ربنا افتكره] :**

هذا مثل شركي يلزم منه وصف الله–تعالى– بصفات النقص، والله –تعالى– موصوف بصفات الكمال، والجمال والجلال، منزه عن كل نقص وعيب وعجز وتعب ونسيان، فهل

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف، ح(2679) /ج3/ص180.

(2) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب اليمان والنذور، باب بماذا يحلف والنهي عن الحلف بغير الله/ ح(6899) /ج 4/ص318، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(3) انظر: مجموع الفتاوى، 81/1.

(4) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص413.

الله ﷻ ينسى؟ تعالى الله عن إفك هؤلاء سيسأل كلهم عما افتروه، وهذا المثل يخالف ما جاء عن الله ﷻ، حيث قال: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم:64].

- [إذا الشعب يوماً أراد الحياة* فلابد أن يستجيب القدر]

وهذا البيت يؤكد إرادة الله- تعالى- تابعة وخاضعة لإرادة العبد الذليل، وهذا من الخطأ، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير:29][1].

فالعقيدة الإسلامية ترسخ في قلب العبد الانقياد لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فلا يزيغ عنها وتمده باليقين الذي يمنحه عبودية لله كاملة دون نقص في أي جانب من الجوانب، فتصبح حركاته وسكناته وكلماته مضبوطة، فيفكر في كلامه قبل ان يتفوه به؛ فإن كان خيراً ولا يتناقض مع عقيدته الصحيحة صدح به، وإن كان مخالفاً لها صمت ولم يكتف بذلك بل نبه الآخرين إن سمعهم ينطقون بتلك الأقوال التي تخدش عقيدته، فيسلم وتسلم عقيدته من أن تمس بنوع من الخلل، ومن هنا تظهر أثر العقيدة في ضوء حديث سيد الاستغفار على المجتمع الذي يتحلى أفراده بهذه الصفات التي ذكرت آنفاً.

ثانياً: الأفعال التي تخالف العقيدة:

هناك العديد من الأفعال التي تخالف العقيدة وتعتبر من الشركيات التي نهى النّبيﷺ عنها وبيّن خطورتها على إيمان العبد، وعلى الرغم من ذلك نجد البعض يقوم بفعلها فيها عن غير قصد؛ راغباً في حصول منفعة لنفسه أو دفع ضر عنها، ومن هذه الأفعال التي تخل بالعقيدة مايلي:

1- الطواف بالقبور والسجود لغير الله.

قال ابن القيم في كتابه الجواب الكافي:" فالشرك في الأفعال كالسجود لغيره، والطواف بغير بيته، وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمين الله في الأرض، وتقبيل القبور واستلامها، والسجود لها"[2].

وقد بين النبيﷺ خطورة اتخاذ القبور مساجد بقوله:(**لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**) [3]، فهذا تغليظ في حرمة اتخاذ المقابر مساجد حيث من يفعل هذا الفعل الشنيع يعاقب

(1) منهاج المؤمن، د. مصطفى مراد، ط دار الفجر للتراث، ط الأولى 1422هـ- 2001م، ص26- 27.
(2) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص133.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويتخذ مكانها مساجد، بدون رقم للحديث/ج1/ص93.

بالطرد من رحمة الله، وهذا الجزاء الذي لحق باليهود الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وفيه تحذير منهﷺ لأمته بألا يكونوا مثل اليهود.

2- الذبح والنذر لغيره.

ومن أنواع الشرك في العبادة العملية كالذبح لغير الله، والنذر لغير الله تعالى؛ فالذبح إن قصد به التوجه والتقرب إلى الله تعالى وحده فهو من العبادات، ويسمى نسكاً؛ لأن النسك هو العبادة والقربة، وقد فرضه الله ذلك بقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام، آية 162، 163]، والنسك – هاهنا – الذبيحة.

وقد بيّن النّبيﷺ عقوبة من ذبح لغير الله هي الطرد من رحمة الله تعالى حيث قال علي بن أبي طالب حَدَّثَنِي رسول اللهﷺ بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ **قَالَ:(لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ)** [1].

"وقد دل هذا الحديث على أن الذبح لغير اللَّه من الأعمال التي خصصها اللَّه لتعظيمه، ومن ذبح لغير اللَّه فقد أشرك"[2].

3- التطير.

قبل بيان حكمه لابد من بيان تعريف التطير لغة واصطلاحاً:

أ. التطير لغة: (تطيّر) من الشيء وبالشيء، والاسم (الطيرة) بوزن العنبة وهو ما يتشاءم به من الفأل الرديء[3].

ب. التطير اصطلاحاً: "وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح، والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم. فإذا أرادوا أمرًا، فإن رأوا الطير مثلاً طار يمنة، تيمنوا به، وإن طار يسرة، تشاؤموا به"[4]

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأضاحي، باب لعن الله من ذبح لغير الله، ح(5166) /ج6/ص84.

(2) رسالة التوحيد المسمى بـ تقوية الإيمان، إسماعيل بن عبد الغني بن وَلي الله بن عبد الرحيم العُمري الدهلوي، ترجمة: أبو الحسن علي الحسني الندوي، ط دار وحي القلم – دمشق، سورية، ط الأولى، 2003 م، ص142.

(3) نظر: مختار الصحاح، 194/1.

(4) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، ط المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق ط الأولى، 1423هـ/2002م، ص360.

ج. بيان خطورة التطير على التوحيد:

"ولما كانت الطيرة بابًا من الشرك منافيًا للتوحيد أو لكماله؛ لأنها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، واعلم أن ما كان معتنيًا بها قابلاً بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه، فالواجب على العبد التوكل على الله ومتابعة رسول الله ﷺ وأن يمضي لشأنه لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته فيدخل في الشرك"[1].

هذه الصورة من التطير كانت في العهد القديم، ولكنها تتجدد بصورة مختلفة في العصر الحالي –إن كانت مختلفة في الوسيلة لكن المضمون واحد–، فنجد بعض المسلمين يتشاءم من بعض الأيام، أو الألوان أو الأماكن أو من رؤية بعض الأشخاص، فهذا كله ينافي التوحيد الخالص فيجب على كل موحد أن يتوكل على الله دوماً وأبداً في السر وفي العلن، في كل أمر يريد أن ينجزه؛ لأن هذه الوساوس تقعد العبد عن إنجاز أعماله بل وتودي به إلى الإحباط ويكون الشيطان قرينه في كل عمل يريد إنجازه؛ بل تؤثر على حياته تأثيراً سلبياً، فيعيش في ضنك وشك وحيرة من أمره.

وقد كان النبيﷺ يحب الفأل ويكره الطيرة حيث قال:(**لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ، قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ**) [2].

يحثنا النّبي ﷺ على الفأل دائماً والبعد عن التشاؤم؛ لأن الناس إذا أملوا فائدة الله، ورجوا عائدته عن كل سبب ضعيف أو قوي فهم على خير، وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله تعالى كان ذلك من الشر؛ لأن الطيرة فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء، والتفاؤل أن يكون رجل مريض فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته، ومنه الحديث: " قيل يا رسول الله ما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة "[3].

بعد هذا البيان لبعض الأفعال والأقوال التي تخالف العقيدة، يظهر لنا مدى أهمية الالتزام بالعقيدة الصحيحة، ومدى التفقه في أمور الدين أكثر، خوفاً من الوقوع في الزلل في القول والفعل، لأن معظم من وقعوا في الزلل عقائدياً إنما وقعوا فيه لأجل جهلهم بأمور دينهم.

(1) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الوهاب، ص360.
(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الطيرة، ح(5754) /ج 7/ص 135.
(3) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص311.

إذا العقيدة الإسلامية هي صمام الأمان للمجتمع؛ لأنها تنقي المجتمع من الشركيات التي تظهر في المجتمع وذلك بجهود العلماء المخلصين الذين لم يدخروا جهداً في بيان أمور الدين بطريقة واضحة العامة، وهذا ما نلحظه في مجتمعنا من اندثار لهذه الأفعال التي تخل بالعقيدة وقد كانت منتشرة بشكل ملحوظ، مثل الذبح للأولياء عند قبورهم، أو التبرك بهم ودعائهم وتعليق التمائم، هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على وعي المجتمع، ومدى حرصه على تنقية حياته من الشركيات، وهذا ينبئ عن صحوة إسلامية في المجتمع، هذا المجتمع الذي أضحت مساجده تعمر من كافة أطياف المجتمع من شيب وشبان ونساء، فيتعلمون أمور دينهم من خلال الدروس التي تعقد في كافة الأوقات مما يؤدي إلى زيادة الوعي بينهم، فيعبدون الله على بصيرة، في حين أن العصر الذي سادت فيه الشركيات كانت المساجد لا يكاد يؤمها إلا كبار السن، والقليل من الشباب مما أدى إلى انتشارها دون بيان لحرمتها

المطلب الثاني: أثر الشكر على المجتمع.

حديث سيد الاستغفار فيه دلالة على شكر الله تعالى ويظهر ذلك في قول النّبيﷺ (أَبُوء لَك بنعمتك) فهذه الجملة تدل على الاعتراف بالنعمة وشكر الله عليها، فعندما يعم الشكر أفراد المجتمع، تظهر آثار إيجابية على المجتمع منها ما يلي:

أولاً: الشكر يحقق الازدهار

ومن هذه الآثار التي تعود على المجتمع الشاكر زيادة النعم وبقاؤها، فهذه الزيادة وبقاء النعمة تؤثر عليه تأثيراً إيجابياً مما يزيد من ثروته المادية التي تجعله في حالة استغناء عن الأمم الكافرة حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:7].

فالشكر ضامن لزيادة النعم على العباد، فإن شكروه زادهم في أموالهم وقوتهم وأبناءهم، وغيرها من النعم(1)، وكذلك يحتمل أن تكون الزيادة من خير الدنيا أو من الثواب في الآخرة أو منهما، فكله خير وازدهار للمجتمع، فإن ساد الشكر في مجتمع ساد الازدهار وعمّ الخير في ربوع الوطن(2).

---

(1) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ط 1419 هـ

(2) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، 409/1.

ثانياً: الشكر ينقي القلوب من الحسد والحقد.

الشكر سلوى للنفوس وبلسمها فهو الواقي للقلوب من الحقد والحسد، فالمجتمع الشاكر لأنعم الله مجتمع يخلو من أمراض القلوب التي تفتك بأوصال المجتمع وتشتت شمله؛ لأن أفراده تسلحوا بسلاح الإيمان الراسخ الذي حمى قلوبهم من تلك الآفات، فما دام العبد يمتلك في قلبه يقيناً بأن الله هو مقسم الأرزاق على عباده، فإنه لا يمكن أن ينظر إلى من فُضل عليه بالرزق، فهذه القناعة عندما يتحلى بها كافة أفراد المجتمع، يضمحل الحسد والحقد من القلوب.

المطلب الثالث: أثر الاستغفار على المجتمع.

كما وأن حديث سيد الاستغفار فيه دلالة على استغفار العبد من ذنوبه، يظهر لنا ذلك في سؤال العبد ربه المغفرة لذنوبه في قولهﷺ: **(وأبوء بذنبي، فَاغْفِر لي فَإِنَّهُ لَا يغْفر الذُّنُوب إِلَّا أَنْت)**، وكذلك فيه حث على المواظبة عليه في قولهﷺ :**(من قَالَهَا حِين يُمْسِي فَمَاتَ من ليلته دخل الْجنَّة، وَمن قَالَهَا حِين يصبح فَمَاتَ من يَوْمه دخل الْجنَّة)**.

أولاً: الاستغفار أمان أهل الأرض:

الاستغفار أمان أهل الأرض من العذاب حيث أخبرنا بذلك القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[الأنفال 33].

فهذا خطاب للنّبيﷺ يبين فيه الحق تبارك وتعالى، الأسباب المانعة من نزول العذاب بقريش، وهي: إكراماً لوجوده بينهم، واستغفارهم من الذنوب التي اقترفوها، فهذا من رحمة الله بعباده أنه يمهلهم، ويعطيهم الفرصة تلو الفرصة قبل أن يحل بهم عذابه.

وقد روي عن أبي موسى الأشعري قال: "كان أمانان في الأرض، رفع أحدهما وبقي الآخر"[(1)].

ثانياً: الاستغفار يثمر الرخاء:

فالمجتمع الذي يواظب أفراده على الاستغفار، مجتمع تكثر فيه الخيرات والنعم المتعددة بشتى أنواعها وهذا ما أخبرنا به على لسان سيدنا نوح عليه السلام حيث قال: **قال تعالى:** ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾[نوح:10].

---

(1) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، دون دار نشر، دون رقم طبعة وسنة النشر، 19/2.

في هذه الآية بيّن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على لسان سيدنا نوح عليه السلام في هذه الآيات: الثمار والفوائد التي تعود على قومه، إن استغفروا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال سيد قطب رحمه الله[1]:" فقد ربط الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بين الاستغفار وهذه الأرزاق"[2]، فالذي جعل سيدنا نوح عليه السلام يوجه لهم هذه النصيحة بالذات: "هو أن الله حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة. وروى: سبعين، فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله تعالى الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه"[3].

ثالثاً: الاستغفار يورث الأمن الاجتماعي.

فالتوبة والاستغفار كفيلان بتحجيم الجريمة في المجتمع المسلم، فتضمحل حالات السرقة والفساد المالي بكافة أشكاله، وكذلك حالات الفساد الأخلاقي وانتهاك الحرمات والأعراض، فيتحقق الأمن الاجتماعي، عندما تشيع المراقبة الذاتية لأفراد الأمة، فيسير الإنسان في بلده مطمئناً على ماله وعرضه من الانتهاك؛ فالعقيدة الصحيحة هي المقوم الحقيقي للأخلاق السامية، وقد شهدت العصور الذهبية للأمة الإسلامية ذلك الأمان بفضل العقيدة السليمة التي رسخت قي قلوب أبنائها، عندما تسود مخافة الله في قلوب الناس، يسود العدل وعندما يسود العدل يسود الرخاء والأمان، وهذا ما حدث بالفعل في عهد الخلفاء الراشدون، وكذلك قد سادت هذه الحالة من الأمن والأمان في زمن الخليفة الخامس، الذي اشتهر زمانه بالرخاء والأمن ألا وهو زمن الخليفة عمر ابن عبد العزيز.

---

(1) سيد قطب: سيد قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، من مواليد أسيوط، تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف، وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا،ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الإسلامية، وبنى على هذا استقالته في العام الثاني للثورة، وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها، ومن مؤلفاته: التصوير الفني في القرآن) ، ومشاهد القيامة في القرآن، وكتب وشخصيات، وأشواك، والإسلام ومشكلات الحضارة، والسلام العالمي والإسلام، والمستقبل لهذا الدين، وفي ظلال القرآن، ومعالم في الطريق، أعدم عام 1967م انظر: الأعلام : (147/3) .

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب، ط دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط السابعة عشر– 1412 هـ، (6/ 3713).

(3) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (4/ 617) .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين :-

أما بعد، فقد هدفت هذه الدراسة إلى البحث في موضوع مباحث عقدية في حديث سيد الاستغفار، وحاولت توضيح جميع المسائل العقدية فيه، وقد توصلت الباحثة في الخاتمة إلي جملة من النتائج والتوصيات وهي كالتالي :-

أولاً : النتائج.

1. أن دعاء سيد الاستغفار من أفضل الأدعية؛ لأنه جامعاً لمعاني التوبة فاستحق أن يحظى بمرتبة السيادة بين الأدعية .
2. لا يمكن للعبد أن يحصل على الطمأنينة والسلام بدون أن يتوجه لخالقه بالدعاء وطلب مغفرة الذنوب.
3. كمال الذلّ والمحبة والخضوع لله هي العبادة الحقّة التي يتطلبها إيمان العبد.
4. أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يكلف نفس إلا وسعها، فهو لا يطلب من العبد إلا ما كان في استطاعته أن يقوم به.
5. إن للذنوب آثار سلبية على الفرد والمجتمع، فيجب على المؤمن أن ينأى بنفسه عنها، ويتوب إن وقع فيها، ويقوم بدعوة قومه، لأن لهيب نارها يأكل الأخضر واليابس إن اشتعلت فهي لا تفرق بين مؤمن وكافر؛ إن سكت المؤمن عن المنكر ولم ينه عنه.
6. من قمة الأدب الجمّ مع الخالق ﷻ عدم نسبة الشر إليه سبحانه، وإنما ما يصاب من شر فهو من نفسه.
7. أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أعطى العبد الفرص الكثيرة للتوبة والإنابة إليه، فما على العبد إلا أن يبذل قصارى جهده في مجاهدة نفسه والشيطان وإن يستغفر ربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من كافة ذنوبه.
8. على العبد المداومة على الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار؛ حتى يفوز برضا الغفار.
9. أن الاستغفار يجلب الخير للفرد، وأنه الحصن الحصين للأمة من نزول العذاب بها.
10. أن شكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على نعمه سبب لزيادة الخير على الفرد والمجتمع.

ثانياً: التوصيات.

بناءً على نتائج البحث السابقة؛ فإن الباحثة توصي بما يلي:

1. أوصي الباحثين وطلاب العلم بإعداد رسالة علمية بعنوان الذنوب والمعاصي وخطرها على الفرد والمجتمع، وذلك بحصر الكوارث الطبيعية التي تتعرض لها بلاد الكفر حديثاً وربطها بالموضوع: ككارثة تسونامي، وبركان مدينة بومباي، وغيرها الكثير مما لا يعلمه الناس.
2. أوصي الباحثين وطلاب العلم بإعداد رسائل تختص بدراسة الأحاديث النبوية الشريفة التي تحوي في طياتها مسائل عقدية؛ حتى نزود المكتبة بموسوعة المسائل العقدية في أحاديث النبي ﷺ.

الفهارس العامة

وتشتمل:

أولاً: فهرس الآيات الكريمة

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

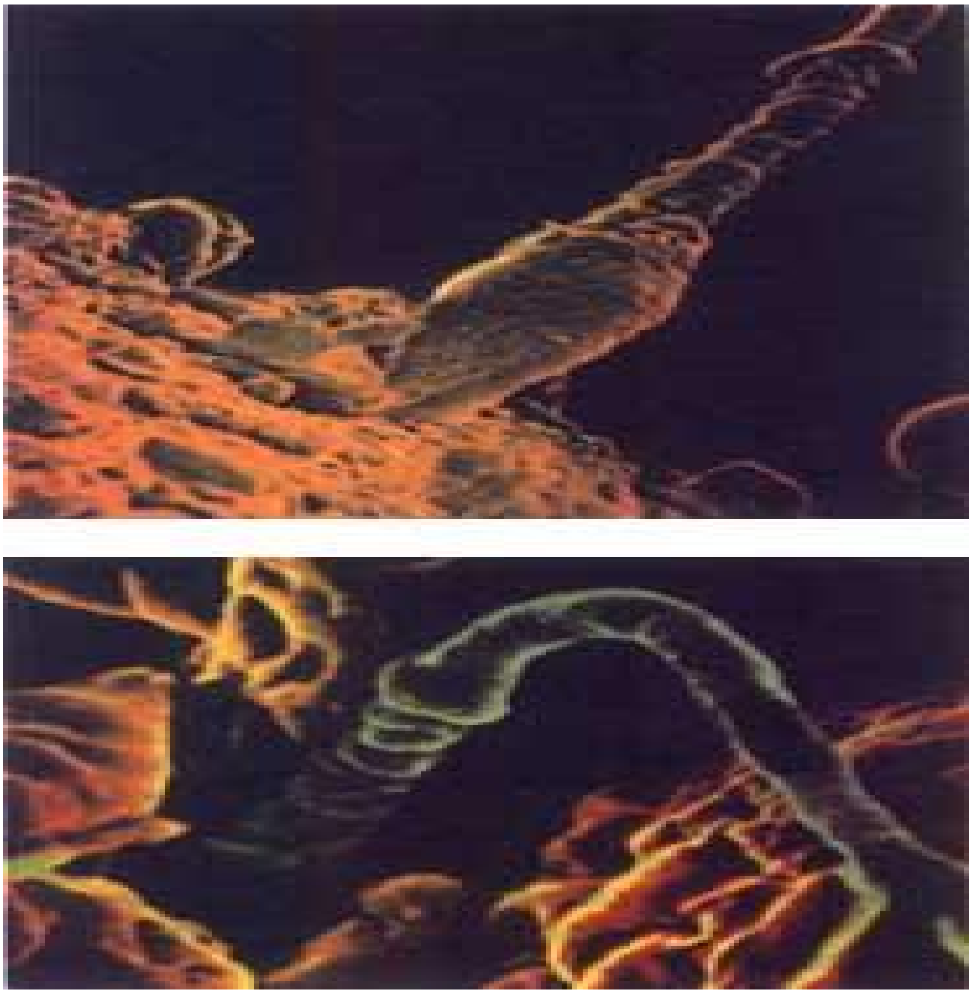
ثالثاً: فهرس الأَعلاَم المترجم لهم

ملحق الصور



(شكل1)

الطور الثاني: السلالة

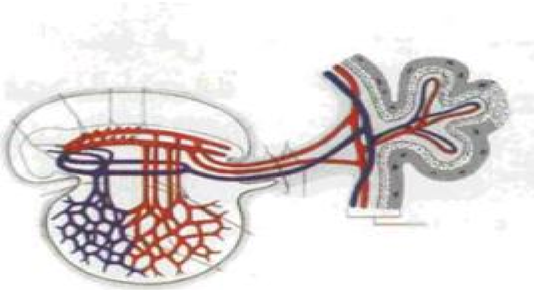


(شكل 2)

الطور الثالث: الأمشاج



(شكل 3)



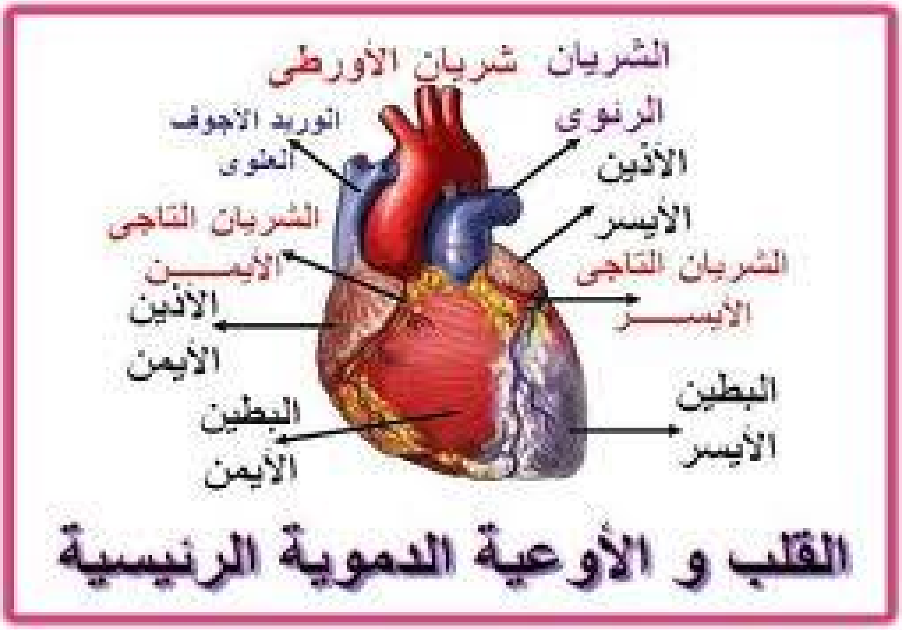
(شكل 4)



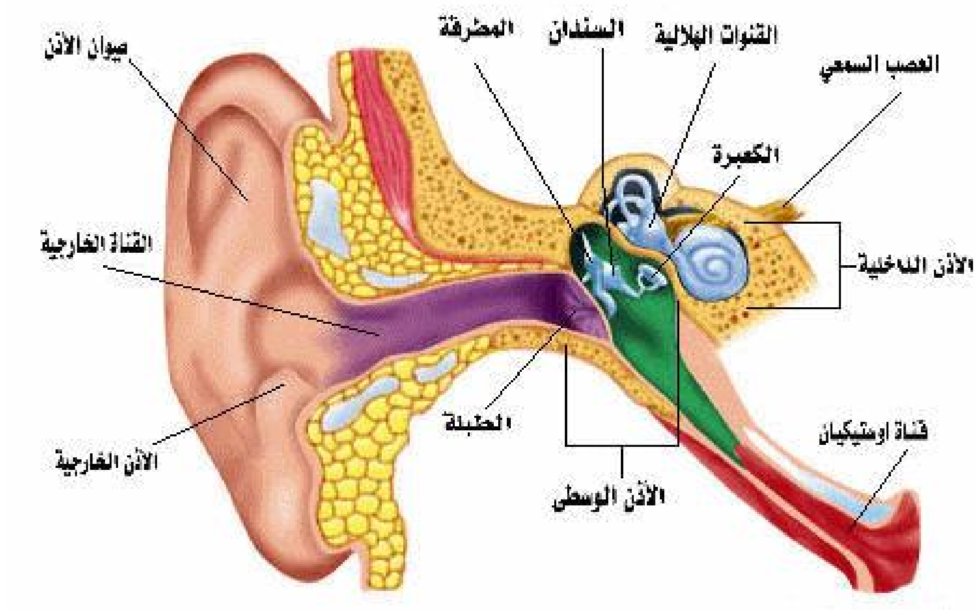
(شكل5)



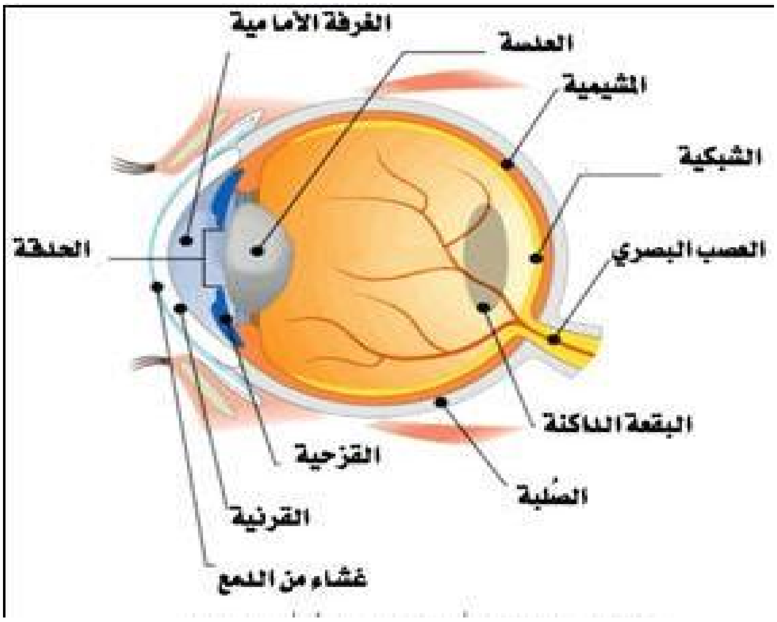
(شكل 6)


الشريان شريان الأورطى
الرئوى
الوريد الاجوف
العلوى
الأذين
الأيسر
الشريان التاجى
الأيمن
الشريان التاجى
الأيسر
الأذين
الأيمن
البطين
الأيسر
البطين
الأيمن
القلب و الأوعية الدموية الرئيسية

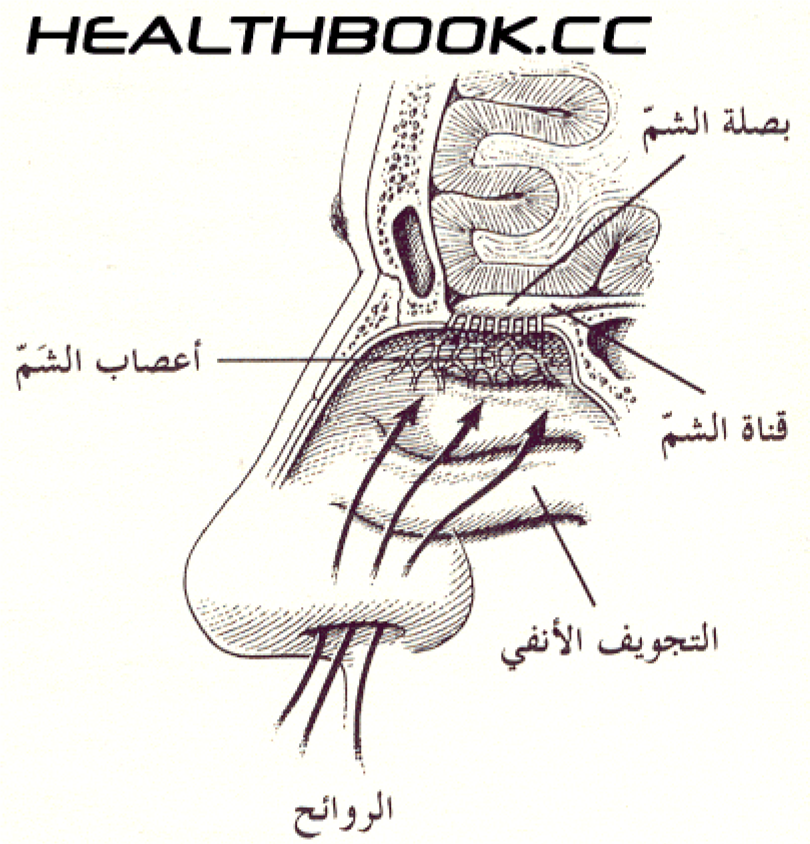
(شكل7)


صيوان الأذن
المطرقة
السندان
القنوات الهلالية
العصب السمعي
الكعبرة
القناة الخارجية
الأذن الداخلية
الطبلة
قناة اوستيكيان
الأذن الخارجية
الأذن الوسطى

(شكل8)


الغرفة الأمامية
العدسة
المشيمية
الشبكية
الحدقة
العصب البصري
البقعة الداكنة
القزحية
الصُلبة
القرنية
غشاء من الدمع

(شكل 9)


HEALTHBOOK.CC
بصلة الشمّ
أعصاب الشَمّ
قناة الشمّ
التجويف الأنفي
الروائح

(شكل 10)

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

1. إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ت: 505هـ، ط دار المعرفة – بيروت، دون سنة نشر.
2. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، دون رقم طبعة، دون سنة النشر.
3. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط دار ابن الجوزي، ط الرابعة 1420هـ – 1999م.
4. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط دار الجيل– بيروت، ط الأولى، 1412 هـ – 1992م.
5. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، ط دار الكتب العلمية، ط 1415هـ – 1994 م.
6. الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً، محمد الأمين الشنقيطي، ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط الخامسة1973م.
7. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى 1415 هـ.
8. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ط1415 هـ – 1995 مـ.
9. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، محمد سامي علي، ط دار المحبة – دمشق، دون رقم طبعة، دون سنة النشر.
10. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، محمد سامي محمد علي، ط دار المحبة للطباعة والنشر– دمشق، دون رقم طبعة، دون سنة نشر.

11. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: حازم القاضي، ط وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط الثانية، 1422هـ.

12. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

13. الأعلام، الزر كلي، ط دار العلم للملايين، ط الخامسة عشر 2002 م.

14. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

15. الإنسان في ضوء العلم والقرآن، د. عبد الحكم الصعيدي، ط الدار المصرية اللبنانية، دون رقم طبعة1430– 2009م.

16. إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، ط دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط الأولى 1415هـ.

17. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، ط مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط الخامسة 1424هـ/2003م

18. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ط مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط الخامسة، 1424هـ/2003م.

19. البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر – بيروت / دمشق، الطبعة الأولي .

20. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، دون دار نشر، دون رقم طبعة وسنة النشر.

21. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط: الدكتور حسن عباس زكي– القاهرة، ط 1419هـ.

22. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق :علي شيري، ط دار إحياء التراث العربي، ط الأولى 1408 هـ - 1988 م، ج.

23. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط دار الهداية.

24. التذكرة في الوعظ، ابن الجوزي، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، ط دار المعرفة – بيروت ط الأولى 1406.

25. تزكية النفوس، أحمد فريد، ط. دار العقيدة للتراث– الاسكندرية، ط1413هـ1993م.

26. التعريفات، الجرجاني، ط دار الكتب العلمية – لبنان، ط الأولى 1403هـ –1983.

27. تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ط دار الثقافة العربية، دون رقم طبعة، دون سنة النشر، ص36.

28. تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط112 – 1421هـ.

29. تفسير الجلالين، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي ت 864هـ وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت 911هـ، ط دار الحديث – القاهرة، ط الأولى دون سنة نشر.

30. تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الملقب(بسلطان العلماء)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط دار ابن حزم – بيروت، ط الأولى، 1416هـ/ 1996م.

31. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، دون رقم طبعة 1990 م.

32. تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز ،ط الفاروق، ط الأولى، 1423هـ – 2002م.

33. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية1420هـ – 1999 م.

34. تفسير القرآن الكريم، ابن القيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف ط الأولى – 1410 هـ.

35. تفسير القرآن(السمعاني)، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم ط دار الوطن، الرياض – السعودية، ط الأولى، 1418هـ– 1997م.

36. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي ت: 1371هـ، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، ط الأولى هـ 1365 هـ – 1946 م.

37. التفسير المظهري، المظهري محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، ط مكتبة الرشدية الباكستان، دون رقم طبعة، دون سنة النشر.

38. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط دار الفكر المعاصر – دمشق، ط الثانية، 1418 هـ.

39. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط دار الكلم الطيب، بيروت، ط لأولى، 1419 هـ – 1998 م،

40. تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، للإمام الراغب الأصفهانى، ط دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، ط 1983 م.

41. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري ،ط وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب.

42. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب لعبدالله بن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ط دار الكتب العلمية – لبنان، دون رقم طبعة، دون سنة النشر.

43. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الأولى2001م.

44. التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: بشير محمد عيون، ط مكتبة المؤيد، المملكة العربية السعودية، ومكتبة دار البيان، سوريا، ط الأولى.

45. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، ط المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق ط الأولى، 1423هـ/2002م.

46. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط مؤسسة الرسالة، ط الأولى 1420هـ –2000 م.

47. ثلاثة الأصول، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، تحقيق: ناصر بن عبد الله الطريم وغيره، ط جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، دون رقم طبعة دون سنة النشر.

48. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، ط السابعة، 1422هـ – 2001م.

49. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

50. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط دار إحياء الكتب العربية، ط الأولى 1418هـ.

51. حاشية السيوطي على سنن النسائي، جلال الدين السيوطي، ط مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط الثانية 1406هـ– 1986م.

52. حقيقة التوحيد أو التوحيد الحقيقي، بديع الزمان سعيد النورسي، ط دار سوزلر للطباعة والنشر، ط الثانية، 1988م.

53. الخواطر"تفسير الشعراوي"، محمد متولي الشعراوي، ط مطابع أخبار اليوم، دون رقم طبعة، ودون سنة النشر.

54. الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ط دار النشر: دار السلام – القاهرة، دون رقم طبعة، 1428 هـ – 2007 م.

55. رسالة التوحيد المسمى بتقوية الإيمان، إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي، ترجمة: أبو الحسن على الحسني الندوي، ط دار وحي القلم – دمشق، سورية، ط الأولى 2003 م.

56. روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: زهير الشاويش، ط المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، ط الثالثة. 1412هـ / 1991م

57. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: ط الأولى – 1422 هـ.

58. سلسلة أركان الإيمان، د. علي الصلابي، ط دار التوزيع والنشر – القاهرة، ط الأولى 1434هـ – 2013م.

59. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، ت 1206هـ، ط دار البشائر الإسلامية، ط الثالثة 1408 هـ – 1988 م.

60. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، تحقيق: محمد محي الدين، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

61. سنن الترمذي، تحقيق مجموعة من العلماء، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ – 1975 م.

62. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط مؤسسة الرسالة، ط الثالثة، 1405 هـ- 1985 م.

63. شرح أصول العقيدة الإسلامية، د. نسيم شحدة ياسين، ط الثالثة 1422هـ- 2001م.

64. شرح العقيدة الطحاوية، أبو العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط العاشرة، 1417هـ – 1997.

65. شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط دار الثريا للنشر، ط الرابعة 1424هـ – 2004م.

66. شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر، ط 1399هـ – 1979م.

67. الشكر ابن أبي الدنيا، تحقيق: بدر البدر، المكتب الإسلامي- الكويت، ط الثالثة 1400- 1980م.

68. صحيح وضعيف سنن أبي داوود، محمد ناصر الدين الألباني، إعادة تنسيق وفهرسة: أحمد عبد الله عضو في ملتقى أهل الحديث، ط مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، دون رقم طبعة، دون سنة النشر.

69. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى، 1417 هـ – 1997 م.

70. الضعفاء الكبير، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط دار المكتبة العلمية- بيروت، ط الأولى1404هـ- 1984م.

71. العقيدة في الله، د. عمر سليمان الأشقر، ط دار النفائس- الأردن، الطبعة الخامسة عشرة 1423هـ-2004م.

72. عمدة القاري، بدر الدين العيني، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، دون رقم طبعة وسنة النشر.

73. عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه ﷻ، ابن السني، تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن- جدة/ بيروت.

74. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، ط دار الكتب العلمية – بيروت، ط الثانية1415 هـ.

75. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، ط دار المعرفة – بيروت.

76. فتح القدير، الشوكاني، ط دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط الأولى 1414 هـ.

77. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: محمد الفقي، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى 1423هـ- 2003م.

78. الفروع في الفقه الحنبلي، محمد بن مفلح، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط الأولى 1424 هـ – 2003م.

79. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفر قانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ط دار ركابي للنشر – مصر، ط الأولى 1419 هـ – 1999 م.

80. الفوائد، ابن قيم الجوزية، ط شركة القدس للتصدير، ط الأولى، دون سنة نشر.

81. في سبيل العقيدة الإسلامية، عبد اللطيف بن علي بن أحمد بن محمد السلطاني القنطري الجزائري، ط دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة – الجزائر، ط الأولى، 1402 هـ – 1982 م.

82. في ظلال القرآن، سيد قطب، ط دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط السابعة عشر – 1412 هـ.

83. في معاني التنزيل، أبو الحسن الخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، ط دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1415 هـ.

84. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ط مكتبة التجارية الكبرى – مصر ط الأولى، 1356 .

85. قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة، ابن تيمية، تحقيق: عبد الله بن محمد البصيري، ط دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى1418هـ/199.

86. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ابن تيمية، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، ط مكتبة الفرقان – عجمان، ط الأولى 1422هـ – 2001هـ.

87. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي،ط مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط الثامنة، 1426 هـ – 2005 م.

88. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط الثانية، محرم 1424هـ.

89. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ط دار ومكتبة الهلال، دون رقم طبعة وسنة نشر.

90. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ط دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثالثة – 1407 هـ.

91. الكشف والبيان عن تفسير القرآن،أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ط 1422، هـ – 2002 م.

92. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، دون رقم طبعة، دون سنة النشر.

93. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، دون رقم طبعة، دون سنة النشر.

94. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط الأولى، 1419 هـ –1998م.

95. لسان العرب، ابن منظور، ط دار صادر – بيروت، ط الثالثة – 1414 هـ.

96. لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط الثالثة، دون سنة النشر.

97. اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، ت 392 هـ، تحقيق: فائز فارس، ط : دار الكتب الثقافية – الكويت.

98. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية– حلب، الثانية، 1406 – 1986.

99. مجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية 1406 هـ – 1986 م.

100. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، دون رقم طبعة – 1416هـ/1995م.

101. مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، رسالة التعاليم، ط دار الطباعة والنشر الإسلامية– القاهرة، دون رقم طبعة،1412هـ – 1992م.

102. مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، ط جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، دون رقم طبعة، دون تاريخ نشر.

103. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى – 1418 هـ.

104. مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط الخامسة 1420هـ- 1999م.

105. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي ت 666هـ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط الخامسة، 1420هـ / 1999م.

106. مختصر ابن كثير، (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، ط دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط السابعة، 1402 هـ – 1981 م.

107. مختصر منهاج القاصدين، للإمام أحمد بن محمد بن محمد بن قدامة المقدسي، تحقيق:سعد العارف، ط دار إحياء العلوم- بيروت، ط الثانية 1418هـ – 1997.

108. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثالثة.

109. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي، تحقيق: محمد أمين الصناوي، ط دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى – 1417 هـ.

110. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الهروي، ط دار الفكر، بيروت- لبنان، ط الأولى، 1422هـ- 2002م.

111. المستدرك على الصحيحين، الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة بيروت

112. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل إلى النبي ﷺ، أبو الحسن النيسابوري، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الجيل –بيروت.

113. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ط المكتبة العلمية – بيروت، دون رقم طبعة أو سنة النشر.

114. مع الطب في القرآن الكريم، د.عبد الحميد دياب- د.أحمد قزقوز، ط مؤسسة علوم القرآن- دمشق، بيروت، ط الأولى 1400هـ-1980م.

115. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط دار ابن القيم – الدمام، ط الأولى، 1410 هـ - 1990.

116. معالم التنزيل في تفسير القرآن(تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الأولى 1420 هـ.

117. معجم المؤلفين، محمد بن رضا كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، دون رقم طبعة أو سنة النشر.

118. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار).

119. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط دار الفكر، دون رقم طبعة1399هـ - 1979م.

120. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ط دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الثالثة 1420 هـ.

121. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم بيروت، ط الأولى 1412 هـ.

122. من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية، عبد الله عقيل بن سليمان العقيل، تقديم الشيخ محمد مهدي عاكف، والشيخ مصطفى مشهور، دار التوزيع والنشر الإسلامية مصر – القاهرة، ط الثالثة 2006م.

123. منازل السائرين، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، ط دار الكتب العلمية – بيروت، دون رقم طبعة أو سنة النشر.

124. مناقب الشافعي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق:السيد أحمد صقر، دار التراث – مصر، ط الأولى1390 -1970.

125. المنتخب من مسند عبد بن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي، الشيخ مصطفى العدوى، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: 1423هـ - 2002م

126. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الثانية.

127. منهج السلف في العقيدة وأثره في وحدة المسلمين، صالح بن سعد السحيمي، ط إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 1409هـ.

128. موسوعة الألباني في العقيدة، محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: التراث والترجمة، ط مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية صنعاء – اليمن، ط الأولى، 1431 هـ – 2010 م.

129. الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، ط مؤسسة سجل العرب، ط 1405هـ.

130. نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار، الشيخ محمد السفاريني، تحقيق: عبد العزيز الهبدان، وعبد العزيز الدخيل، ط دار الصميعي – الرياض، ط الأولى 1416هـ–1996م.

131. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ط دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دون رقم طبعة، دون سنة النشر.

132. النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، دون رقم طبعة، دون تاريخ النشر.

133. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، ط المكتبة العلمية – بيروت، دون رقم طبعة 1399هـ – 1979م.

134. نواقض الإيمان القولية والعملية، عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، ط مدار الوطن للنشر، ط الثالثة 1427هـ.

135. الوابل الصيب من الكلم الطيب،لابن القيم، تحقيق: : سيد إبراهيم، ط دار الحديث – القاهرة، ط الثالثة، 1999 م.

136. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط الأولى، 1415 هـ.

137. الوسائل المفيدة للحياة السعيدة،لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، ط الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، ط الثانية، 1409 هـ.

المواقع الالكترونية:

1. موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، http://ar.wikipedia.org.

2.موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة http://www.eajaz.org.

3. موسوعة الإعجاز العلمي http://quran .com

4. موقع طبيب http://www.tbeeb.net

خامساً: فهرس الموضوعات

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

تبين لي من خلال الدراسة أن النبي صلى الله عليه وسلم زودنا بالغذاء الروحي من خلال أحاديثه الشريفة، ويظهر لي من خلال دراستي لحديث سيد الاستغفار ما يلي:

أولاً: حديث الاستغفار جمع أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وقد دلّ عليهما دلالة واضحة وهذا ما أشرنا إليه في الفصل الأول من الرسالة.

ثانياً: أن العبادة الحقة لابد من توفر شروطها وأركانها حتى يقبلها رب العالمين، وكما وأن هناك أقسام للعبادة قسمها العلماء الأولون.

ثالثاً: أن للاستغفار أوقات وأحوال وصيغ عديدة يجب على المسلم أن يراعي ذلك عند استغفاره.

رابعاً: المكافأة على قدر عزيمة العبد، فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، وهذا ما أخبرنا به النّبيﷺ وهو أن من واظب على دعاء سيد الاستغفار دخل الجنة.

Abstract

Praise be to Allah and peace be upon the prophet Mohammed.

This study shows that the Prophet, peace be upon him, provided us with the spiritual nourishment through his prophetic traditions (Hadiths). The study shows through the explanation of the prophetic tradition (Hadith) that is called “the lord of traditions for seeking Allah's forgiveness” the following:

First: Asking for forgiveness combines the three types of beliefs: the belief in the Oneness of the worship of Allah, the belief in the Oneness of Lordship and the belief in Allah's most beautiful names and divine attributes. This has been explained in the first chapter of the study.

Second: A believer must comply with the terms and basic elements of the true worship to be accepted by Allah. Worship was also divided into two sections by the previous Muslim Scholars.

Third: Asking for forgiveness has preferred times, conditions and formulas that Muslims need to observe while asking for forgiveness.

Fourth: The reward is measured by the effort and determination; those who continue to state the text of the prophetic tradition called “the lord of traditions for seeking Allah's forgiveness” while asking for forgiveness will go to paradise